9Marks

مارك دَفر

ما هي الكنيسة السليمة؟

ما هي
الكنيسة السليمة؟

مارك دَفر

What Is a Healthy Church?

Copyright © 2007 by Mark E. Dever and 9Marks
Published by Crossway Books
a publishing ministry of Good News Publishers
1300 Crescent Street
Wheaton, Illinois 60187

All rights reserved. No part of this publication may be reproduced, stored in a retrieval system, or transmitted in any form by any means, electronic, mechanical, photocopy, recording, or otherwise, without the prior permission of the publisher, except as provided for by USA copyright law.

Reprinted from *9 Marks of a Healthy Church,* Copyright © 2005 by Mark E. Dever

Cover design: Josh Dennis

Cover photo: iStock

Printed in the United States of America

Unless otherwise noted, all Scripture quotations are from *The Holy Bible: New International Version.®* Copyright © 1973, 1978, 1984 by International Bible Society. Used by permission of Zondervan Publishing House. All rights reserved.

The "NIV" and "New International Version" trademarks are registered in the United States Patent and Trademark Office by International Bible Society. Use of either trademark requires the permission of International Bible Society.

Scripture quotations marked esv are from *The Holy Bible, English Standard Version®*, copyright © 2001 by Crossway Bibles, a publishing ministry of Good News Publishers. Used by permission. All rights reserved.

All emphases in Scripture quotations have been added by the author.

Library of Congress Cataloging-in-Publication Data
Dever, Mark.
What is a healthy church? / Mark Dever.
p. cm.
"Adapted from 9 marks of a healthy church, © 2005 by Mark Dever"—T.p. verso.
ISBN
1. Church—Marks. 2. Church—Biblical teaching. 3. Choice of church. I. Dever, Mark. 9 marks of a healthy church. II. Title.
BV601.D49 2007
250—dc22 2006102865

LB 17 16 15 14 13 12 11 10 09 08 07
15 14 13 12 11 10 9 8 7 6 5 4 3 2 1

كلُّ اقتباسات الكتاب المقدَّس مأخوذة من ترجمة فاندايك-البستاني، إلَّا إذا ذُكر غير ذلك.

إهداء إلى

هارولد بُردي
وإلى ثوماس إد هِنكَر

رعاةٌ أُمناء أشكُرُ الله لأنِّي أعرفهم

المحتويات

المُقدِّمة: مَثَل ٩

التمهيد: ما الذي تبحث عنه في كنيسة ما؟ ١٣

الجزء الأوَّل:
ما تعريفُ الكنيسة السليمة؟

الفصل ١: مسيحيَّتُك وكنيستُك ٢١

الفصل ٢: ما ينبغي للكنيسة أن تكونه...وألَّا تكونه ٣٣

الفصل ٣: ما ينبغي لكلِّ كنيسةٍ أن تطمح لتكون عليه: سليمة وصحِّيَّة ٤١

الفصل ٤: دليل التعليمات الكامل: كيف نعكس شخصيَّة الله ٥٣

الجزء الثاني:
العلامات الجوهريَّة للكنيسة السليمة

الفصل ٥: الوعظُ التفسيريُّ ٦٧

الفصل ٦: اللاهوتُ الكتابيُّ ٧٣

الفصل ٧: فهمٌ كتابيٌّ لبشارة الإنجيل ٧٩

الجزء الثالث:
علامات مُهمَّة تُميِّز الكنيسة السليمة

الفصل ٨: فهمٌ كتابيٌّ للاهتداء ٨٩

الفصل ٩: فهمٌ كتابيٌّ للكرازة ٩٣

الفصل ١٠: فهمٌ كتابيٌّ للعضويَّة ٩٧

الفصل ١١: فهمٌ كتابيٌّ للتأديب الكنسيّ ١٠٥

الفصل ١٢: التلمذة والنموُّ الكتابيَّان ١١١

الفصل ١٣: قيادةٌ كنسيَّةٌ كتابيَّة ١١٧

الفصل ١٤: الخلاصة: وجهًا لوجهٍ مع الواقع ١٢٥

الملحق: عهدٌ نموذجيٌّ للكنيسة السليمة ١٢٩

شكرٌ خاصّ ١٣١

المقدِّمة: مَثَل

"وأمَّا الآنَ فقد وضَعَ الله الأعضاءَ، كلَّ واحِدٍ مِنها في الجَسَدِ، كما أرادَ. ولكن لو كانَ جميعُها عُضوًا واحِدًا، أين الجَسَدُ؟ فالآنَ أعضاءٌ كثيرَةٌ، ولكن جَسَدٌ واحِدٌ. لا تقدِرُ العَينُ أن تقولَ لليَدِ: "لا حاجَةَ لي إلَيكِ!". أو الرأسُ أيضًا للرِّجلَين: "لا حاجَةَ لي إلَيكُما!"".

١كورنثوس ١٢: ١٨-٢١

كان في أحد الأيَّام أنفٌ ويدٌ يجلسان على مقاعد الكنيسة يتحدَّثان، وكان اجتماع الكنيسة الصباحيُّ الذي يقوده أذنٌ وفَمٌ قد انتهى للتَّوّ. فأخبرت اليد الأنفَ بأنَّه وعائلته قرَّرا البحث عن كنيسة أُخرى ينضمُّون إليها.

فلمَّا سمع الأنفُ هذا النبأ قال: "أحقًّا؟ لماذا؟"

أمَّا اليد فطأطأت رأسها وقال: "لا...لا أعلم". لم تكُن اليدُ سريعةً في الإفصاح عمَّا في داخلها كباقي أعضاء جسد الكنيسة. ثمَّ أضافت قائلةً: "أظنُّ أنَّ الكنيسة لا تملك ما أبحث عنه أنا عائلتي".

فأجاب الأنف: "لكن ما الذي تبحث عنه في الكنيسة؟" ومع أنَّه قال هذا بنبرةِ تعاطُف، فقد قاله عالِمًا أنَّه لن يرضى بجواب اليد مهما كان؛ فإن لم تُقرَّ عائلة الأيدي بأنَّ الأنفَ وباقي لجنة القادة في الكنيسة يقودون الكنيسة في الاتِّجاه الصحيح، فيُمكن للجسد التخلِّي عنهم.

كان على اليد التفكير مليًّا في إجابتها؛ إذ إنَّه وعائلتَه يحبُّون القسَّ فم، ويُدركون أنَّ مسؤول الترانيم أُذنُ حسن النيَّة. ولمَّا أجابت أخيرًا قالت: "إنَّنا نبحث عن مكانٍ نجد فيه أُناسًا مثلنا". وأكملت قائلةً: "حاولنا تمضيةَ الوقت مع عائلة الأرجُل، إلَّا أنَّنا لم نتمكَّن من التواصل معهم. وحينما انضممنا إلى مجموعة أصابع القدم البيتيَّة، وجدناهم لا يتوقَّفون عن الحديث بشأن الجوارب والأحذية والروائح الكريهة. وهذه أُمورٌ لا تثيرُ اهتمامَنا".

حينها نظر إليها الأنفُ بحَيرةٍ وقال: "ألا يسرُّك أنَّ موضوع الروائح الكريهة يعنيهم؟".

فقالت اليدُ: "بالتَّأكيد يهمُّني. لكنَّ هذا لا يُناسبنا. وبعد هذا ارتَدْنا مدرسةَ الأحد لمعالِم الوجه القريبة منك، أتذكُر؟ جِئنا بضعة أسابيع متتالية قبل شهرَين".

أجاب الأنف: "كنَّا مسرورين بحضوركم".

فقالت اليد: "شُكرًا! إلَّا أنَّ الجميع كان يودُّون التكلُّم والاستماع والشمَّ والتذوُّق فقط. فشعرنا بأنَّكم...في الحقيقة شعرنا بأنَّكم لا تودُّون العمل وتوسيخ أيديكُم. على أيَّة حال، قرَّرتُ أنا وعائلتي الذهاب وإلقاء نظرة على تلك الكنيسة الجديدة في الناحية الشرقيَّة من المدينة، فقد سمعنا بأنَّهم يصفِّقون ويرفعون الأيادي، وهذا أقرب إلى ما نحتاج إليه الآن".

وحين استَوعبَ الأنفُ الأمر، قال: "فهمتُ ما تَعنيه. ستُحزنُنا مغادرتُكم، لكنْ من الأفضل لك أن تقوم بما تراه مناسبًا".

وفي ذلك الوقت التفتت السيِّدة يد بعد أن كانت هي أيضًا في خِضَمِّ

حديثٍ آخر، لتتجاذبَ مع زوجها والأنف أطرافَ الحديث. فأخبرها زوجُها بما قالَه للأنف، واستمرَّ الأنفُ يعربُ عن حُزنه لخسارة عائلة الأيدي. إلَّا أنَّه أبدى تفهُّمه أنَّ حاجاتهم لا تُلبَّى.

هزَّتِ السيِّدة يد رأسها موافقة على ما قيل. ومع أنَّها كانت تُريد أن تبدو مُهذَّبة، فالحقيقة هي أنَّها لم تكُنْ حزينةً للمُغادرة. ما حدث هو أنَّ زوجها وجَّه عددًا كافيًا من الانتقادات طوال السنوات الماضية- كافيًا ليجعلَ قلبها مثل قلبه. دون شكّ، لم يسبق له أن تفوَّه باتِّهاماتٍ عنيفة ضدَّ الجسد، بل اعتذر غالبًا على ما أسماهُ "سلبيَّته". لكنَّ التذمُّرات الصغيرة التي تلفَّظها هُنا وهناك تركت أثرًا: المجموعات البيتيَّة منغلقة بعض الشيء، والموسيقا قديمة قليلًا، والبرامج تافهة نوعًا ما، ولم يعجبهم التعليم كثيرًا. ورغم أنَّ الزوجَين لم يتمكَّنا من توجيه إصبعهما تجاه المُشكلة الأساسيَّة، فقد قرَّرا نهايةَ الأمرِ أنَّ الكنيسة لم تعُد تُناسبهما.

وفوق هذا كلِّه، كانت السيِّدة يد على عِلمٍ بأنَّ ابنتهما خنصر لم تتَّفق مع الآخرين في اجتماع الشباب؛ فلا أحَدَ يُشابهُها، بل شعرت كأنَّها مبتورة.

وهكذا قالت السيِّدة يد ما يُمكن قوله لتُعربَ عن شكرها وعرفانها للأنف والقادة الآخرين. غير أنَّ الحديثَ كان قد طال أكثر من اللازم للأنف، كما أنَّ عِطرها أشعره بالحكَّة والرغبة في العطس. شكرَها لأجل تشجيعها وكرَّر أسفَه لسماعه أخبار مُغادرتهما، ثمَّ راحَ في طريقه. فما حاجتهُ إلى الأيدي؟ ومن الواضح أنَّهم لا يحتاجون إليه أصلًا.

التمهيد:
ما الذي تبحث عنه في أيَّة كنيسة؟

ما الذي تبحث عنه من خصائص في الكنيسة؟ ربَّما لم تفكِّرْ مؤخَّرًا في هذا السؤال، لكن خصِّصْ بعضَ الوقت في التفكير واسأل نفسك: كيف تبدو الكنيسة المثاليَّة؟ "الكنيسة المثاليَّة هي مكانٌ فيه..."

موسيقا جميلة! موسيقا تكشف عن تدريب وتحضيرٍ جادَّين. وقد لا ترغب في الغيتارات والدرمز (الطبول)، بل تريد جوقةً وعازفي الآلات الوتريَّة كالكمان ليعزفوا تراتيل جميلة تُمجِّد الله. أو قد ترغب في وجود الغيتارات والدرمز، لتكونَ التراتيلُ عصريَّةً ومواكِبةً للتطوُّر؛ فهذا ما يستمعُ إليه الجميع من الإنترنت، فلنكُنْ مثلهم إذًا.

وربَّما لا تهتمُّ كثيرًا بالموسيقا بقَدرِ اهتمامك بالوعظ؛ فأنتَ تُريد كنيسةً تُقدِّم عِظاتٍ جيِّدة ومعبِّرة لكنْ دون إفراط. أن تكونَ عظاتٍ كتابيَّة لكنْ غير مملَّة، وعمليَّة لكن غير انتقائيَّة ومُتشدِّدة. ولا بدَّ كذلك أن تلعبَ شخصيَّةُ الواعظ دورًا في طبيعة العِظات؛ فالوُعَّاظ أشكالٌ وألوان: اللاهوتيُّ الجادُّ الذي يُحبُّ العقائد ولا يبتسمُ بتاتًا، والمُضحك صاحب المليون حكاية، والمرشِدُ العائليُّ الذي سبق له أن "ذاق ما ذُقتَه".

أعي أنِّي بالغتُ في التصوير الساخر، لكنْ لا مجال للشكِّ أنَّ لدى الكثير منَّا بعض التوقُّعات لما ينبغي لراعي الكنيسة أن يكونَه، أليس كذلك؟

ولعلَّك تبحث عن كنيسة يُعاني فيها الناس ما تُعانيه، لتتمكَّن من التواصل معهم بيُسر وسهولة؛ فهُم يفهمون ما تمرُّ به كونهم يمرُّون بالمِثل. قد تبحث عن خرِّيجي جامعاتٍ جُددٍ، أو أشخاص لهم أطفالٌ مثلك، أو مَن قاربوا على التقاعُد مثلك. قد تبحث عن أُناسٍ يعرفون ما يعنيه التسوُّق في متاجر القطع المستعملة، أو أُناسٍ ذوي ذوقٍ في التسوُّق من المتاجر الكبرى. قد تبحث عن سكَّان المدينة، أو سكَّان الضواحي.

وربَّما يكون أهمُّ شيءٍ عندك هو وجود الفُرص المتاحة للانخراط في الخدمة والأعمال الخيريَّة: هل الكنيسة تهتمُّ بالكرازة للضالِّين؟ أو هل تهتمُّ بالإرساليَّات؟ هل تهتمُّ بمساعدة الفُقراء؟ أو هل لديها برامج تُتيح لك ولابنك إقامةَ صداقات مع آباء وأبناء آخرين؟ ماذا عن فُرص لك للمُساعدة في خِدمة الأطفال؟ هل تُقيم الكنيسة اجتماعات تنال اهتمامَ أطفالك أو أولادك المراهقين؟

ولا شكَّ أنَّ بعض الأشخاص يبحثون عن كنيسة "حسَّاسة للرُّوح القدس". روح الله هو الذي يقودنا؛ لذا فأنت تُريد كنيسةً تهتمُّ بالإصغاء إلى صوته، وسريعة الانتباه لأعماله، وقادرة على تصديق العجائب الذي يمكنه أن يصنعها. قد تكون سئِمت من مُحبِّي الطقوس التقليديَّة الذين يُطفئون الروح؛ فالروح يصنع أُمورًا جديدة، وهو يُعطي ترانيمَ جديدة.

وقد تبحث عن كنيسة لها طابع ما، أو ربَّما لم تنظرْ إلى الأمر بهذه الصورة، لكنَّك إذا اعتدت حضورَ كنيسةٍ كبيرةٍ كالأسواق التجاريَّة، أو

أصيلة كالأديرة، أو اجتماعيَّة كالمقاهي، فلا بدَّ أن تتوقَّع طابعًا ما للكنيسة المثاليَّة، وهذا أمرٌ مُتوقَّع. ألم يحنَّ الكثير منَّا بعد أن تركنا منزل ذوينا إلى روائحَ أو مناظرَ أو أصواتٍ معيَّنة اعتَدْناها أيَّامَ كنَّا مع أهلنا؟

قد تكون الكثير من هذه التوقُّعات جيِّدة أو مُحايدة، على الأقلّ. وأنا جادٌّ في تشجيعك على التفكير في ما تكُنُّ له التقدير في كنيسةٍ ما.

ما الذي تبحث عنه؟ مكانٌ رَحْبٌ؟ شغوفٌ؟ صادقٌ؟ كبيرٌ؟ حميمٌ؟ عصريٌّ؟ مُمتعٌ؟ صارمٌ؟

كيف ينبغي للكنيسة أن تكون؟

موضوعٌ يعني جميعَ المؤمنين بالمسيح

قبل أن نبحثَ في ما يقوله الكتاب المقدَّس بشأن ما ينبغي للكنيسة أن تكونه- وهذا ما سنفعله في الفصول الأُولى- أُريدك أن تعرفَ سببَ اهتمامي بتوجيه هذا السؤال **إليك**، ولا سيَّما إنْ لم تكُن راعيَ كنيسة. أليس كتابٌ معنيٌّ بموضوع الكنيسة السليمة كتابًا لرُعاة الكنائس وقادتها؟

إنَّه كذلك، لكنَّه أيضًا لكلِّ مؤمنٍ بالمسيح. تذكَّر أنَّ **كُتَّاب العهد الجديد خاطَبوا كلَّ مؤمنٍ بالمسيح في كتاباتهم**. فحينما استمعَتِ الكنائسُ في غلاطِيَّة إلى التعاليم الخاطئة، خاطَبَهم بولس قائلًا: "إنِّي أتَعجَّبُ أنَّكُم تنتَقلونَ هكذا سريعًا عن الذي دَعاكُم بنِعمةِ المسيحِ إلى إنجيلٍ آخَرَ!" (غلاطيَّة ٦: ١). مَن المقصودون في هذه المُحاسبة على التعاليم الخاطئة في تلك الكنائس؟ ليس الرُّعاةُ وحدَهُم، بل شعب الكنيسة أيضًا. قد

تتوقَّع منه أن يُخاطبَ قادة الكنائس ويقول: "توقَّفوا عن تعليمِ تلك الهرطقات"، إلَّا أنَّه لم يفعلْ هذا، بل حاسبَ الكنيسة كلَّها على ذلك.

وعلى هذا المنوال، خاطبَ بولس كنيسةَ مدينة كورنثوس مباشرةً حين تركوا علاقة زنًى لأحد أعضاء الكنيسة تستمرُّ دون حساب (١ كورنثوس ٥)، فلم يأمر الرُّعاة والخُدَّام بحلِّ المُشكلة، بل أمرَ الكنيسة كلَّها بذلك.

وهذه هي حال أغلبيَّة رسائل العهد الجديد.

ومع أنِّي على يقينٍ بأنَّ رعاةَ كنائسِ القرن الأوَّل هؤلاء كانوا يُصغون بينما خاطب بولس وبطرس ويعقوب ويوحنَّا أهل الكنيسة، وأنَّهم أخذوا المبادرةَ وقادوا الجميعَ في تطبيق ما أوصى الرُّسُل في رسائلِهم. غير أنِّي أعتقد أنِّي أُحمِّل المسؤوليَّة للطَّرفِ الذي ينبغي أن يتحمَّلَها على الصعيد البشريّ، بمُخاطبتي **الجميع**، رُعاةً وأعضاءً على حدٍّ سواء، على غِرارِ ما فعله الرسل. كلُّ المؤمنين بالمسيح مسؤولون عمَّا تؤول إليه كنائسُهم، وليس فقط رعاة الكنائس أو القادة الآخرين، بل **أنت** أيضًا.

دون شكّ، سيقف رُعاةُ كنيستك ويُعطُون حسابًا عن قيادتهم للكنيسة (عبرانيِّين ١٣: ١٧)، إلَّا أنَّ كلَّ تلميذ للرَّبِّ يسوع المسيح سيُعطي حِسابًا عمَّا فعلَه من جهة **الاجتماع** مع الكنيسة بانتظام، **وتحريض** الكنيسة على المحبَّة والأعمال الحسنة، **والجهاد** للحفاظ على التعليم الصحيح عن رجاء الإنجيل (عبرانيِّين ١٠: ٢٣-٢٥).

إذا كنتَ مؤمنًا بالمسيح لكنَّك تظنُّ أنَّ كتابًا يُعنى بالكنائس السليمة هو كتابٌ يخُصُّ قادة الكنيسة و"اللاهوتيِّين المُختصِّين"؛ وتُفضِّلُ قراءة كتُبٍ تُعنى بالحياة المسيحيَّة فقط، فربَّما حانَ الوقت لتنتظر لحظة

وتتفحَّص ما يقوله الكتاب المُقدَّس عن المؤمنِ الحقيقيِّ بالمسيح، وهذا ما سنتطرَّق إليه مطوَّلًا في الفصل ١.

وبعد هذا، سنتناوَلُ ماهيَّة الكنيسة (الفصل ٢)، وقَصْدَ الله النهائيَّ للكنيسة (الفصل ٣)، وسبب وُجوب قيادة الكتاب المقدَّس لكنائسنا (الفصل ٤).

وإذا كنتَ متَّفقًا على أنَّ الكتاب المقدَّس يجب أن يقودَ كنائسَنا ويُرشدَها لتُظهِر مجد الله، فيُمكنك أن تنتقلَ فورًا إلى الفصل ٥، والذي أُدرجُ فيه تسعَ علاماتٍ للكنيسة السليمة. وأخيرًا، أرجو الله أن يستخدمَ تأمُّلاتنا هذه معًا ليُعدَّ عروسَه ليوم مجيئه (أفسس ٥: ٢٥-٣٢).

الجُزء الأوَّل

ما تعريفُ الكنيسة السليمة؟

الفصل ١

مسيحيَّتُك وكنيستُك

تَطلُب منِّي أحيانًا الخِدماتُ المسيحيَّة في الجامعات المختلفة التحدُّث أمام الطلَّاب. وقد اعتادوا سماعي أبدأ كلامي في مناسباتٍ عديدة بالقول التالي: "إذا كُنتَ تَدعُو نَفسك مؤمنًا بالمسيح لكنَّك لستَ عضوًا في الكنيسة التي تتردَّد عليها، أخشى أن تكونَ في طريقِكَ إلى الجحيم".

لا شكَّ أنَّ هذا يجذبَ انتباهَهم.

لكن هل أقصد منه جَلبَ الانتباه؟ لا أعتقد هذا. أو هل أُحاول إخافتهم ليصيروا أعضاء في الكنيسة؟ كلَّا. هل ما أعنيه بذلك أنَّ الانضمام إلى الكنيسة يجعلُ المرء مؤمنًا بالمسيح؟ بالتَّأكيد لا! تخلَّصْ من أيِّ كتابٍ (أو مُتكلِّمٍ) يقول هذه الأشياء.

ما الذي إذًا يدفعني للبدء بتحذيرٍ كهذا؟ يَكْمُن السببُ في رغبتي في أن يلتَمِسوا الحاجةَ الملحَّة إلى كنيسةٍ محلِّيَّة سليمةٍ في حياة الفرد، وليشتعلَ فيهم شغفٌ لكنيسةٍ تمثِّل المسيحَ وتلاميذه. فالكثير من المؤمنين بالمسيح اليوم حول العالم يميلون إلى تشخيص مسيحيَّتهم بوصفها علاقةً شخصيَّة بالله. ورغم أنَّهم يَعون أنَّه يترتَّبُ على هذه "العلاقة الشخصيَّة" بعض النتائج من جهة أسلوب الحياة، فإنِّي أخشى جهلَ الكثير

من المسيحيِّين ضرورة أن تكونَ هذه العلاقة المهمَّة بالله ضمن عددٍ من العلاقات الشخصيَّة الفرعيَّة- العلاقات التي يجعلها المسيح بيننا وبين جسده، أي الكنيسة. لم يشأ الله لهذه العلاقات أن تكون انتقائيَّة نختار فيها اعتباطيًّا من المسيحيِّين الذين "يروقوننا"، بل يودُّ أن يُدخِلَنا في علاقة حيَّة وجِدِّيَّة بجماعة من الناس.

فلماذا أخشى أن تكون في طريقك إلى جهنَّم إذا كنتَ تدعو نفسك مؤمنًا بالمسيح، لكنَّك لستَ عضوًا على وفاقٍ مع الكنيسة المحلِّيَّة التي ترتادُها؟ فكِّر معي للحظاتٍ في ما يعنيه أن يكونَ المرءُ مؤمنًا بالمسيح.

مَن المسيحيُّ؟

أهمُّ ما يتعلَّق بالمسيحيِّ هو أنَّ خطاياهُ غُفِرَت، وأنَّهُ تَصالحَ مع الله الآب بيسوع المسيح. وهذا ما يحدث حينما يتوب عن خطاياه ويؤمِن بالحياة الكاملة لابن الله يسوع المسيح، وموته الكفَّاريِّ وقيامته من الموت.

وبعبارة أُخرى، المسيحيُّ هو مَن أدرك بُطلان مُحاولاته وأخلاقه، ووجد أنَّ تعدِّيه شريعةَ الله الجليَّة جعله يُسلِّم حياتَه لعبادة ما هو دون الله- أشياء كالوظيفة والعائلة والمُشتريات والمال ومديح الناس وشرف العائلة والمُجتمع ورضى آلهة الديانات المزيَّفين وأرواح الزمان الحاضر، وحتَّى الأعمال الحسنة والخيِّرة. هو أيضًا مَنِ اعترفَ بأنَّ هذه "الأصنام" هي أسياد تجلبُ الهلاكَ في هذه الحياة لأنَّها لا تُشبع أشواقَنا، وفي الحياة الأبديَّة كونها تستحضرُ الغضبَ الإلهيَّ العادلَ، والموتَ والدينونةَ التي ذاق منها المؤمنُ بالمسيح شيئًا في هذا الزمان رحمةً له.

أي أنَّ المؤمنَ بالمسيح يعلمُ أنَّه إذا تُوُفِّي الليلةَ ووقف يوم الدينونة أمام الله وقال له الرَّبُّ: "لماذا أسمح لك بدخول راحتي؟"، فيُمكنه أن يُجيب: "ليس لي حقُّ الدخول؛ فقد أخطأتُ إليك ولك عليَّ دينٌ لا يُمكنُني دَفعُه". لكنَّه لن يتوقَّف هُنا، بل سيقول: "لكن بسبب وعودك ورحمتك العظيمة، يُمكنُني الاتِّكال على دم يسوع المسيح الذي سُفِك عِوضًا عنِّي ليدفعَ مُستحقَّاتي الأخلاقيَّة، ويُلبِّي مُتطلَّباتك المقدَّسة والبارَّة، ويُعفِيَني، أنا الخاطئ، من سخطك وغضبك".

وهكذا فإنَّ المؤمنَ بالمسيح هو من وجدَ بدايةَ الحرِّيَّة من استعباد الخطيَّة بصرخته هذه التي تَطلُبُ التبريرَ في المسيح. وفي مُقابِلَ أوثان وآلهة مُزيَّفة لا تَشبَع وبُطونها لا تمتلئ، فقد أرضى ما صنعه المسيح الله العليَّ، واشترى هذا الإنسان من القضاء الإلهيِّ وأطلقَه حرًّا! وللمرَّة الأولى يُمكن أن يُديرَ هذا المؤمنُ ظهره عن الخطيَّة، لا لتعودَ وتستحوذ عليه خطايا أُخرى، بل لتملأ قلبَه برغبةٍ يُعطيها الروح القُدس ليسودَ يسوعُ المسيحُ نفسه على حياته. ومقابل آدم الذي حاول دَفْعَ الله عن العرش ليجعلَ من نفسه إلهًا، يَطيبُ للمؤمن أن يستعليَ المسيحُ العرشَ، كما يَرَى في حياة المسيح الخضوع الأمثل لمشيئة الآب وكلمته، ويسعى ليتمثَّل بمخلِّصه.

ويعني هذا أنَّ المؤمنَ هو أوَّلًا مَن تصالحَ مع الله بالمسيح؛ حيث أَخَذَ المسيح عقابَ الله عنه، وهو الآن يُحسَبُ بارًّا أمام الله، كما أنَّه مدعوٌّ إلى حياة البرِّ، وينتظر ذلك اليوم الذي يمثُل فيه أمام حضرة الله وجلاله.

غير أنَّ هذا ليس كلَّ ما في الأمر! فالمؤمن هو مَن تصالحَ كذلك مع شعب الله إثر تصالحه مع الله. أَتَذْكُر أوَّل قصَّةٍ في الكتاب المُقدَّس بعدَ

سقوط آدم وحوَّاء وطردهم من جنَّةِ عدن؟ إنَّها قصَّةُ جريمةِ قتل- قتلَ قايينُ أخاه هابيل. فإذا كانت مُحاولةُ التمرُّد على الله واستعلاء عرشه هي بطبيعتها الرَّغبة في وَضْعِ أنفسنا في تلك المكانة، فلن نسمح أيضًا لأيِّ إنسانٍ آخر بأن يسلبَها منَّا. وحينما قطعَ آدمُ شركته مع الله، قطعَ حالًا الشركةَ في كلِّ البشريَّة. وهكذا صارَ كلٌّ لنفسه.

فلا عَجَب إذًا أنَّ يسوع قال إنَّ الناموس والأنبياء يتعلَّقان بهاتين الوصيَّتين: تُحبِّ الرَّبَّ إلهك من كلِّ قلبك، ومن كلِّ نفسك، ومن كلِّ فكرك، **وتُحبُّ** قريبك كنفسك (متَّى ٢٢: ٣٤-٤٠). تتَّحدُ هاتان الوصيَّتان؛ فالأولى تُنتِج الثانية، والثانية تُبرهِن الأولى.

ومن ثَمَّ فإنَّ تصالُحنا مع الله بالمسيح يعني التصالُح مع كلِّ مَن تَصالَح مع الله. فنَجِدُ بولس يصفُ في الجزء الأوَّل من أفسس ٢ الخلاصَ العظيمَ الذي أجزَلَه الله علينا بالمسيح يسوع، ويُتبِعُ ذلك في الجزء الثاني من الأصحاح بما يترتَّب على هذا من جهة العلاقة ما بين اليهود والأمم، ومن ثَمَّ يسعُنا القول من جهة جميع الذين في المسيح، حيث كَتَب:

> "لأنَّه هو سلامُنا، الذي جَعَلَ الاثنَين واحدًا، ونقضَ حائطَ السِّياجِ المتوَسِّطَ، أي العَداوة...لكَي يَخلُقَ الاثنَين في نَفسِه إنسانًا واحدًا جديدًا، صانِعًا سلامًا، ويُصالحَ الاثنَين في جَسَدٍ واحدٍ مع الله بالصَّليب، قاتلًا العداوَةَ به" (أفسس ٢: ١٤-١٦).

أمَّا الآن فقد صارَ كلُّ مَن ينتمي إلى الله "رعيَّة" واحدة و"أهل بيت الله" (عدد ١٩)، وقد "رُكِّبنا معًا كبناء" في يسوع المسيح وجُعِلْنا "هيكلًا

مُقدَّسًا" (عدد ٢١)- والكثير الكثير من الصور التشبيهيَّة!

لنخْتَر مِثال البيت ولنتأمَّل فيه ليُساعدَنا على فَهْم أنَّ تَصالُحَنا مع الله يعني أيضًا تَصالُحَنا مع شعبه. تخيَّل طفلًا يتيمًا في دارٍ لرعاية الأيتام، لن يتمكَّن هذا الطفل من تبنِّي زوجَين ليكونا أهلَه، بل الزوجان هما من يتبنَّيا الطفل. وإذا كان الزوج يحملُ اسمَ عائلة "ميخائيل"، فلن يقتصر الأمر فقط على اشتراك الطفل في مائدة عشاء عائلةِ ميخائيل، أو مُشاركة الغرفة مع إخوته الجدد، بل أيضًا عندما تُنادي المُعلِّمة اسمه في الصفِّ ستنادي اسمه الأوَّل واسم عائلة ميخائيل، وحينها سيرفع الطفل يده تمامًا مثلما يفعل أخوه الأكبر وأُختُه الصُّغرى. لن يكون هذا نتيجةَ تقمُّص دور الابن ميخائيل، بل بسبب ذهاب أحدهم إلى الميتم وإعلانه قائلًا: "أنت ستصير من عائلة ميخائيل". في ذلك، صار الطفل ابنًا لأحدهم، وأخًا لأولاده.

أمَّا نحن، فنَسَبُنا ليس عائلةَ ميخائيل، بل **نحن مسيحيُّون**، نسبَةً إلى الشخص الذي فِيهِ صار لنا التبنِّي- يسوع المسيح (أفسس ١: ٥). لذا فنحن الآن من عائلة الله الكبيرة، ويقول الكتاب: "لأنَّ المقدِّسَ والمقدَّسينَ جميعَهُم من واحد، فلهذا السَّبَبِ لا يَستَحي أن يَدعوَهُم إخوَةً" (عبرانيِّين ٢: ١١).

وليست هذه العائلة مختلَّةً بحيث لا يعرف فيها الأفراد بعضهم بعضًا، بل هي في شركةٍ وعلاقةٍ وثيقة. فحينما دعانا الله "إلى شَركةِ ابنِه يَسوعَ المسيح ربِّنا" (١كورنثوس ١: ٩)، دعانا أيضًا لأن نكون "واحدًا" في هذه العائلة (١ كورنثوس ١: ١٠).

وليست هذه الشركة شكليَّة ورسميَّة، بل هي كالجسد، يرتبط الأعضاء

فيها بقرارٍ شخصيّ، لكنْ أيضًا بما هو أعظم من مجرَّد قرارٍ بشريٍّ- هو شخص المسيح وعمله. إنِ ادَّعيتَ أنَّك "لستَ عضوًا في هذه العائلة"، فإنَّك بمقدار جهلِ مَن يَبتُر يده أو يجدع أنفه، كما عبَّر بولس عن هذا في رسالته إلى أهل كورنثوس: "لا تقدِرُ العَينُ أن تقولَ لليَدِ: "لا حاجَةَ لي إلَيكِ!". أو الرأسُ أيضًا للرِّجلَينِ: "لا حاجَةَ لي إلَيكُما!"" (١كورنثوس ١٢: ٢١).

أمَّا موجَزُ الحديث، فهو أنَّه لا يُمكن إجابة السؤال "**مَن المسيحيَّ؟**" دون الاستطراد في مُناقشة موضوع الكنيسة. على الأقلّ، هكذا هي الحال في الكتاب المقدَّس. وليس هذا فقط، بل من الصعب التقيُّد بتشبيهٍ واحدٍ إذ إنَّ العهد الجديد يستخدم الكثير منها: العائلة والشركة، والجسد والعروس، الشعب والهيكل، والمرأة وأولادها. كما لا يتطرَّق العهد الجديد إلى الحديث بشأن الوجود المسيحيِّ على أُسس **خارج** العلاقة والشركة ضمن الكنيسة؛ فالكنيسة ليست مكانًا ما، بل هي شعبٌ- شعبُ الله في المسيح.

لا ينضمُّ أحدٌ إلى كنيسةٍ محلِّيَّة حينما يصير مسيحيًّا حقيقيًّا لأنَّها عادةٌ حَسَنة للنموِّ الروحيّ، بل ينضمُّ إليها لأنَّ هذا تعبيرٌ صادقٌ عمَّا **جعلَه منه** المسيح- أي عضوًا في جسده؛ فالوَحدة مع المسيح تعني الوحدة مع كلِّ مسيحيّ، مع كون هذه الوحدة الكونيَّة تُحتِّم وجودًا حيًّا وفعَّالًا في كنيسةٍ محلِّيَّة.

وأحيانًا يميِّزُ اللاهوتيُّون ما بين الكنيسة الكونيَّة (وهي جميع المسيحيِّين على مدى التاريخ)، والكنيسة المحليَّة (وهي جماعة المسيحيِّين الذين يتقابلون في حيِّك ليسمعوا الوعظ من كلمة الله ويعتمدون بالماء ويتشاركون مائدة الرَّبّ). أمَّا أغلبُ إشارات العهد الجديد إلى الكنيسة

فهي إلى الكنيسة المحلِّيَّة، ما عدا بعض الإشارات إلى الكنيسة الكونيَّة (كما في متَّى ١٦: ١٨، ومُعظم رسالة أفسس). ويُمكنُنا رؤية هذا في عبارات بولس التالية: "إلى كنيسة الله في كورنثوس"، "إلى الكنائس في غلاطِيَّة".

أمَّا ما يتبع فهو مُهمٌّ رغم أنَّ وقعَه صعبٌ على الكثير منَّا: أنَّ العلاقة ما بين **عُضويَّتنا في الكنيسة الكونيَّة** و**عضويَّتنا في الكنيسة المحليَّة** هي أشبه بالعلاقة ما بين **البرِّ الذي يُعطينا إيَّاه الله بالإيمان** و**الممارسة الفعليَّة للبرِّ في حياتنا اليوميَّة**. ففضلًا عن أنَّ الله يُعلنُ تبريرَنا حين نصيرُ مسيحيِّين حقيقيِّين بالإيمان، فهو يدعونا أيضًا لأنْ **نكونَ** بارِّين بصورة فعَّالة. إنَّ مَن يُمضي حياته فرِحًا في ارتكابِ الخطايا يستَدعي الشكوك في حقيقة ما إذا كان قد نالَ بِرَّ المسيح أصلًا (راجع رومية ٦: ١-١٨، ٨: ٥-١٤؛ يعقوب ٢: ١٤-١٥). وهذه هي أيضًا حال مَن يرفضون التزام حضورِ الكنيسة المحلِّيَّة؛ فالالتزام ضمن جسدٍ محلِّيٍّ من المؤمنين هو الناتج الطبيعيُّ الذي يؤكِّدُ ما فعله المسيح في ذلك الإنسان. فإذا كان لا يعنيك التزام الحضور مع مجموعة من الأشخاص يؤمنون بالإنجيل ويُعلِّمون الكتاب المقدَّس، فعليك أن تراجعَ نفسك من جهةِ انتمائك إلى جسد المسيح أصلًا! استمع جيِّدًا لما يقوله كاتب رسالة العبرانيِّين:

> "لنَتَمَسَّكْ بإقرارِ الرَّجاءِ راسِخًا، لأنَّ الذي وعَدَ هو أمينٌ. ولنُلاحِظْ بَعضُنا بَعضًا للتَّحريضِ على المحبَّةِ والأعمالِ الحَسَنَة، غَيرَ تارِكينَ اجتِماعَنا كما لقَوْمٍ عادَةٌ، بل واعِظينَ بَعضُنا بَعضًا، وبالأكثَرِ على قدرِ ما ترَوْنَ اليومَ يَقرُبُ، فإنَّه إنْ أخطأنا باختيارِنا بَعدَما أخَذنا مَعرِفَةَ

الحَقّ، لا تبقَى بَعدُ ذَبيحَةٌ عن الخطايا، بل قُبولُ دَينونَةٍ مُخيفٌ، وغَيرَةُ نارٍ عَتيدَةٍ أنْ تأكُلَ المضادِّينَ" (عبرانيِّين ١٠: ٢٣-٢٧).

ستظهر حالتنا أمام الله حتمًا في قراراتنا اليوميَّة، وإنْ كانت تظهرُ ببُطءٍ وكثيرٍ من لحظات الفشل؛ فالله يعمل حقًّا على تغيير شعبه. يا لهُ من خبرٍ مُفرح! لذا أرجوك، يا صديقي، ألَّا تسمحَ للَّامبالاة بأن تتسرَّبَ إليك نتيجةَ هذا الفكر المبهم القائل إنَّك تمتلك برَّ المسيح دون أن تتبعَ حياةَ البِرّ، وأرجو ألَّا تنخدعَ كذلك بفكرة الانتماء إلى الكنيسة الكونيَّة دون أن تتبعَ حياةَ الشركة ضمن الكنيسة المحلِّيَّة.

يبني المسيحيُّ الحقيقيُّ حياته مع حياة مؤمنين آخرين بعلاقةٍ جِدِّيَّة ضمن الكنيسة المحلِّيَّة، وهذا مع استثناء أندَرِ الحالات. فهو يعلم أنَّه لم "يَصِل" بعد، بل هو ما زال في فساده وفي أمسِّ الحاجة إلى المحاسبة والتوجيه من جماعةٍ محلِّيَّة هي الكنيسة، كما أنَّهُم أيضًا يحتاجون إليه.

يكشفُ تجمُّعنا معًا لعبادة الله وإبداء المحبَّة والأعمال الحسنة بعضنا تجاه بعض عن حقيقة أنَّ الله صالَحنا لنفسه وبعضنا لبعض، وهذا ضمن إطارٍ حيٍّ وفعَّال. وهكذا صار في وُسعنا أن نُبيِّنَ للعالم حقيقةَ **تغيُّرنا**، ليس بمجرَّدِ حفظ نصوصٍ من الكتاب المقدَّس أو رفع الصلاة قبل الطعام أو تقديم عشور دخلِنا أو حتَّى الاستماع إلى الترانيم المسيحيَّة، بل بواقع أنَّنا نُظهِرُ الرغبةَ في تحمُّلِ فئةٍ من الخاطئين الآخرين أمثالنا، ومُسامحتهم، بل إبداء المحبَّة لهم أيضًا.

لا يُمكن أن يُظهِرَ أيٌّ منَّا المحبَّةَ أو الفرحَ أو السلامَ أو الصبرَ أو اللُّطفَ في جزيرةٍ نائيةٍ معزولةٍ عن الآخرين، بل يسعُنا أن نُظهِرَها حينما يعطينا الأشخاص الذين عاهَدْنا أن نُحبَّهم أسبابًا كافيةً تدفُعنا في الواقع إلى **عدم** محبَّتهم، لكنَّنا نُحبُّهم على أيَّة حال.

تتجلَّى بشارةُ الإنجيل وسط مجموعةٍ من الخطاةِ العازِمين أن يحبُّوا بعضهم بعضًا؛ هكذا تعرضُ الكنيسة للعِيان بشارةَ الإنجيل حينما يُسامح الأعضاءُ بعضهم بعضًا كما سامحنا المسيح، وحينما يكرِّسُون بعضهم لبعض كما كرَّس المسيح نفسه لنا، وحينما يُضحُّون بحياتهم بعضهم من أجل بعض، كما ضحَّى المسيح بحياته لأجلنا.

يُمكنُنا معًا إظهار بشارة الإنجيل بيسوع المسيح بصورة ما كانَ لنا أن نحقِّقَها وحدَنا.

غالبًا ما أسمع المسيحيِّين يتحدَّثون بشأن مواهبهم الروحيَّة، لكنِّي أتساءل ما إذا كان هؤلاء يعلَمون أنَّ الله أعطى هذا الكمَّ من المواهب لنستخدمَها بينما نتجاوَبُ مع خطايا مؤمنين آخرين في الكنيسة، أي أنَّ خطيَّتي تُتيح لك مُمارسة موهبتك.

فلو جمَّعتُ عددًا من الرجال والنساء، والشبَّان والشيوخ، والسُّمر والبِيض، والآسيويِّين والأفارقة، والأغنياء والفقراء، والمثقَّفين والأُمِّيِّين، بمُختلف مواهبهم وعطاياهُم، وحرصتَ أن يعلَمُ **جميعهم** بضعفاتهم وآثامهم، وأنَّهُم مُخلَّصون بالنعمة وحدها، فما الذي سنحصل عليه؟ سنحصلُ على المقوِّمات اللازمة للكنيسة.

إنْ أردتَ أن تُحبَّ **جميع** المسيحيِّين، فلأقترح عليك أوَّلًا العمل على

ذلك الاقترابِ من مجموعةٍ من المسيحيِّين **الحقيقيِّين** بكلِّ أخطائهم وطَيشهم. ابقَ معهم في السرَّاء والضرَّاء لثماني سنوات، ثمَّ تعالَ لنتحدَّثَ بشأن طريقك نحو محبَّة المسيحيِّين في كلِّ مكان.

مَن المسؤول إذًا عن التَّفكير في ما ينبغي أن تبدوَ عليه جماعةُ الناس التي تؤلِّفُ الكنيسة؟ هل هُم الرعاة وقادة الكنيسة؟ دون شكّ. وماذا عن المؤمنين الآخرين؟ بالتأكيد أيضًا. أن تكونَ مسيحيًّا يعني أن تهتمَّ بحيويَّةِ جسد المسيح وسلامته. كما يعني أيضًا الاهتمامَ بما هي الكنيسة وما ينبغي للكنيسة أن تكونَه؛ لأنَّك تنتمي إلى الكنيسة بوصفك مسيحيًّا.

إنَّنا بالتأكيد نهتمُّ بالكنيسة؛ فهي جسد مُخلِّصنا نفسه. فهل لاحظت يومًا الكلمات التي قالها يسوع لشاول- أو بولس- الذي كان يضطهد المسيحيِّين حينما التقاه في الطريق إلى دمشق؟ قال يسوع: "شاوُلُ، شاوُلُ! لماذا **تضطَهِدُني؟**" (أعمال ٩: ٤). لاحظ أنَّ يسوعَ يربطُ نفسه بالكنيسة بدرجةٍ كبيرة حتَّى إنَّه يُشير إلى نفسه بدلَ أن يشيرَ إليها! هل ترتبط أيُّها المسيحيُّ بهؤلاء الذين يربط مُخلِّصُك نفسه بهم؟ هل يتشاركُ قلبُكَ شغفَ قَلبِه؟

وصلَتْني رسالةٌ قبل مدَّةٍ وجيزة من راعي كنيسةٍ يُخبرني فيها برغبته أن يعرفَ أعضاءُ كنيسته كيف ينبغي للكنيسة أن تكون؛ فهذا الرجل المتواضع يريد كنيسةً تساعدُ على مُحاسبته بينما يقودُهم إلى النعمة والتقوى، إذ إنَّه يُدرك ما يعنيه العهد الجديد حينما يقول إنَّه يومًا ما سيدعوه الله ليُقدِّمَ حسابًا عن رعايته لأهل كنيسته. لذا يريدُ، بوصفه راعيًا، أن يكونَ أمينًا نحو كلِّ واحدٍ من خرافِ قطيعه، بأن يعلموا أنَّهم سيُحاسَبون هُم

أيضًا في ذلك اليوم عن محبَّتهم بعضهم لبعض ولراعي كنيستهم.

سيسأل الله كلَّ عضوٍ في جسد الكنيسة: "هل فرحتَ مع الفرحين من أعضاء الجماعة؟ وهل بكيتَ مع مَن بكى منهم؟ هل كنتَ تحسبَ أنَّه لا يمكنُ الاستغناء عن الأعضاء الضعفاء؟ وهل عامَلْتَ من يُحسبون قليلي الكرامة بكرامةٍ خاصَّة؟ هل أكرمْتَ أضعافًا مَن أرشدوك وعلَّموك؟" (راجع ١كورنثوس ١٢: ٢٢-٢٦؛ ١تيموثاوس ٥: ١٧).

هل أنت مستعدٌّ، أيُّها المسيحيُّ، لذلك اليوم التي سيدعوك فيه الله لتقدِّم حسابًا عن محبَّتك وخدمتك لعائلة الكنيسة، بما في ذلك قادة هذه الكنيسة؟ وهل تعلمُ كيف ينبغي للكنيسة أن تكون؟ وهل تُعِدُّ أيُّها الراعي رعيَّتك ليوم حسابهم بتعليمهم ما ينبغي للكنيسة أن تكون؟ هل علَّمتهم أنَّهم سيُحاسَبون هم أيضًا؟

الفصل ٢

ما يجب على الكنيسة أن تكونَه...وألَّا تكونَه

سألتُك في صفحة التمهيد بشأن ما تبحث عنه في الكنيسة، وبما يقوله الكتاب المقدَّس بشأن ما ينبغي للكنيسة أن تكونَه. إلَّا أنِّي لم أُجب عن أيٍّ من السؤالَين، ولا شكَّ أنَّهما سؤالان تصعبُ الإجابة عنهما؛ إذ إنَّ المسيحيِّين اليوم يبحثون عن مُختلَف الأمور في الكنيسة.

أذكُر حوارًا دار بيني وبين صديقٍ لي أيَّام دراستي للحصول على شهادتي العُليا. كان صديقي هذا يعمل ضمن خدمةٍ مسيحيَّة لا تتبع أيَّة كنيسة. ومع أنَّنا كنَّا نرتاد الكنيسة ذاتها لبضعة أعوام، فقد كُنت عُضوًا فيها أمَّا هو فلم يكُن كذلك، بل كان يحضرُ اجتماعَ صباح يوم الأحد، وينسحب في منتصف الوقت قبل العِظة تمامًا.

وحينما واجهته يومًا حول حضوره المتقلقِل قال لي: "لا أستفيد كثيرًا من الجزء المتبقِّي من الاجتماع".

فأجبته قائلًا: "هل فكَّرت يومًا في الانضمام إلى الكنيسة؟" بدا عليه التعجُّبُ بعد سؤالي هذا وقال: "أنضمُّ إلى الكنيسة؟ لا أعرف سببًا يدفعني للقيام بهذا؛ فأنا أعلَمُ ما أنا هُنا لأجله، وهؤلاء الناس سيعوِّقوني

ويحولون دون تحقيقي له".

لم يبدُ لي أنَّه قال هذه الكلمات بتكبُّر، بل بغَيرةٍ صادقة تعتري كارزًا موهوبًا لا يُريدُ إضاعةَ أيَّة لحظةٍ من وقت الله. لا شكَّ أنَّه فكَّرَ مليًّا في ما يبحثُ عنه في الكنيسة، ويبدو أنَّ ذلك لا يشملُ أعضاءَ الكنيسة الآخرين، أو على الأقلِّ أعضاءَ تلك الكنيسة بالتحديد، ومن الواضح أنَّه أرادَ مَكانًا يستَمعُ فيه لوعظٍ جيِّدٍ من كلمة الله يُحفِّزُ اندفاعَه الروحيَّ على مدى أيَّام الأسبوع.

غير أنَّ صدى كلماته تردَّدَ في ذهني: "هؤلاء الناس سيعوِّقوني". تَبادَرَ إلى ذهني حينها الكثيرُ ممَّا رغبتُ في قوله، غير أنِّي لم أقُل سوى التالي: "لكنْ هل خطر لك أنَّه إنْ أخذْتَ بأيدي هؤلاء الناس فإنَّك ستُساعد في الإسراع بهم إلى ما ينبغي أن يصلوا إليه، وإنْ عوِّقت قليلًا؟ هل خطر لك أنَّ هذا قد يكون جُزءًا ممَّا يريده الله لهم، ولك أيضًا؟"

أنا أيضًا رغبتُ في كنيسةٍ أستمعُ فيها لوعظٍ جيِّدٍ كلَّ يوم أحدٍ، لكنَّ عبارة "جسد المسيح" تعني أكثر من مجرَّدِ هذا الأمر، أليس كذلك؟

كما ذكرتُ سابقًا في الفصل الأوَّل، ليسَتِ الكنيسةُ مكانًا أو مبنًى، وليست إذاعةً للعِظات الأسبوعيَّة أو مركَزًا للخدمات الروحيَّة، بل الكنيسةُ هي جمعٌ من الناس- أناسُ العهد الجديد المفديُّون بالدم والذين ينتمون إلى الله. من أجل هذا قال بولس: "أحَبَّ المسيحُ...الكَنيسةَ وأسلَمَ نَفسَه لأجلِها" (أفسس ٥: ٢٥). لم يُضحِّ المسيح بنفسه لأجلِ مكانٍ ما، بل لأجلِ بَشَر.

ومن أجل هذا أيضًا تبدأ الكنيسة التي أرعاها تجمُّعَ صباح الأحَد لا بأن نقول: "أهلًا وسهلًا بكُم في كنيسة كابيتول هِل المعمدانيَّة"، بل نُرحِّب

بالجميع بالقول: "أهلًا وسهلًا بكُم في **هذا التجمُّع** الخاصِّ بكنيسة كابيتول هِل المعمدانيَّة". نحنُ أُناسٌ نجتمعُ معًا. ورغم أنَّ هذا قولٌ بسيطٌ، فإنَّنا نُحاول التنويهَ إلى واقعٍ عظيمٍ حتَّى بكلمةِ الترحيب التي نُلقيها.

حينما نتذكَّرُ حقيقةَ أنَّ الكنيسةَ هي مجموعةٌ من الأشخاص، فينبغي أن يُساعدَنا هذا على تمييزِ السمين (المُهمِّ) من الغثّ (غير المهمّ). وأنا نفسي أحتاجُ إلى هذه المساعدة. فمثلًا، أميل كثيرًا إلى السماح لشيءٍ ما مثل موسيقا الترانيم بتحديدِ ما أشعُرُ به نحو كنيسةٍ ما؛ فأُسلوبُ الترنيم الذي تستخدمه كنيسةٌ ما هو من أوَّلِ الأمور التي سنُلاحظه في الكنيسة، لأنَّ الموسيقا تُؤثِّر في الناحية العاطفيَّة من تجاوُباتِنا، وهي **تُشعِرنا** بشيءٍ ما. لكنْ ماذا تكونُ محبَّتي للمسيح ولشعب المسيح إن تركتُ كنيسةً ما بسبب أُسلوبِ الموسيقا الذي يستخدمونه؟ أو إن همَّشتُ مجموعةً كبيرةً من كنيستي بينما أرعاها لأنِّي رأيتُ أنَّ أُسلوب الموسيقا ينبغي أن يُحدَّث؟ يُمكنُنا أن نقولَ على أقلِّ تقديرٍ إنِّي نسيتُ كَونَ الكنيسة في جوهرها مجموعةٌ من الناس وليسَتْ مكانًا.

يُعلِّمنا الكتابُ المُقدَّس في الوقت ذاته أنَّه يجبُ على المسيحيِّين الاهتمام جيِّدًا بما يجري في الكنيسة؛ أي بما **تفعلهُ** الكنيسة. وفي الواقع، كُرِّس الجزءُ الأخير من الكتاب للتوسُّع في هذا النقاش.

فكيف يُمكنُ الموازنة ما بين هذَين الأمرَين: الاهتمام بالأشخاص وفي الوقت نفسه الاهتمام بما يفعلونه؟ فإنْ كان هذا الكتاب يُعالجُ موضوعَ بناء عائلةٍ مسيحيَّة، فإنَّنا نتحدَّث بشأن **القيام** بأمورٍ معيَّنة: تناوُلِ وجباتِ الطعام معًا، وقراءةِ الكتاب المقدَّس معًا، والضحكِ معًا، والصلاةِ أحدنا من

أجل الآخر، وهكذا. لكنْ ريثَما نخوضُ ذلك النقاش، من الجيِّد تذكُّر أنَّه لا بدَّ للوالدَين أن يُخطئا القيامَ بأمرٍ ما، ولا بدَّ للأطفال أن يكونوا أطفالًا؛ فالعائلة ليست مجرَّد مؤسَّسةٍ، بل هي مجموعةٌ من الناس.

كذلك هو الأمر في ما يتعلَّق بالكنيسة. هل فشلَتْ كنيسةٌ ما في مُطابَقةِ توقُّعاتِك من جهةِ ما **تقوم** به، أي ما إذا كانت تُطبِّق ما يقوله الكتاب المقدَّس حول قيادة الكنيسة مثلًا (موضوعٌ سأتطرَّق إليه لاحقًا)؟ إذا كان كذلك، تذكَّر أنَّها جماعةٌ من الناس ما زالوا يَنْمون في النعمة، فأحبُّهُم وأخدمهُم وأصبر عليهم. فلأستَحضِرْ صورةَ العائلة مرَّةً أُخرى! هل تستغني عن والدَيك أو إخوتك وأخواتك أو أولادك إذا فشلوا في تحقيق توقُّعاتك؟ أرجو أنَّك تُسامحُهم وتحتملُهم في هذه الحالة، بل قد تتريَّث للحظات وتسأل نفسك عن توقُّعاتك وما إذا كانت تحتاج إلى التعديل! ينبغي أيضًا أن نسأل أنفسنا عن محبَّتنا ومثابرتنا مع أعضاء في الكنيسة يخالفونا الرأي ولا يطابقون توقُّعاتنا، بل ربَّما يكونون قد أخطأوا إلينا (ألسنا جميعًا نحتاجُ إلى مغفرة خطايا ارتكبناها؟)

هناك بالتأكيد حدودٌ لهذا؛ وهنالك كنائس لا يجدر بك الانضمام إليها أو رعايتها أو الاستمرار فيها. وسنعود إلى هذا السؤال في القسم المتعلِّق بالعلامات الجوهريَّة للكنيسة. أمَّا الآن فيظلُّ المبدأ الأساسيُّ: الكنيسةُ مجموعةٌ من الناس. ومهما كان ما نبحثُ عنه؛ ومهما قلنا عمَّا ينبغي للكنيسة أن تكونَه، ينبغي أن نسترشد بهذا المبدأ الكتابيِّ الأساسيّ.

فلأُضفْ عائقًا إضافيًّا في سبيل الظنِّ الخاطئ بالكنيسة، وهو ظنٌّ شائعٌ لا سيَّما بين الرعاة: لا يقتصر الأمر على عدم حسبانِ أنَّ الكنيسة

مكانٌ، بل هي أيضًا ليست أرقامًا وإحصائيَّات. أذكُر أنِّي عثرتُ يومًا على رسالةِ إرشادٍ في إحدى سنوات دراستي العُليا كتبها جون براون (John Brown)، راعي كنيسةٍ عاش في القرن التاسع عشر، إلى طالبٍ له عُيِّن وقتها لرعاية مجموعةٍ صغيرةٍ من المؤمنين بالمسيح. قال براون في رسالته:

> "أعلمُ ما يجولُ في ذهنك من أفكارٍ باطلة، وأنَّك تشعر بالخزي لكون رعيَّتك صغيرة جدًّا مقارنةً بتلك التي لإخوتك من حولك. غير أنَّ عليك أن تُطمئنَ نفسَك بكلماتٍ حكاها رجلٌ متقدِّمٌ في السنِّ أنَّك عندما ستُقدِّمُ حسابًا عنهم للربِّ المسيح أمام كرسيِّ قضائه، ستكونُ على يقينٍ بأنَّهم كانوا كفاية".[1]

وبينما كنتُ أفكِّرُ في شؤون الرعيَّة التي وكَّلني الله عليها، شعرتُ بجدِّيَّة يوم الحساب ذاك أمام الله. هل أردتُ للكنيسة التي كُنتُ أرعاها أن تصيرَ كبيرة أو مشهورة أو مثارَ جدلٍ، أو كنيسة تبدو بصورةٍ مُدهشة؟

هل كُنتُ مندفعًا بطريقٍ ما لأن "أطيقَ" جماعةَ الناس الذين أرعاهُم و"أتحمَّلَهم" في انتظار الوقت والفرصة المناسبَين لتحويل الكنيسة إلى ما اعتقدتُ أنَّها يجب أن تكونَه؟ لا يعني هذا أنَّ امتلاكَ رغباتٍ مُعيَّنة لمستقبَلِ الكنيسة هو أمرٌ سيِّئ، لكنْ هل كانت رغباتي تقودُني إلى تَجاهُلِ القدِّيسين المحيطين بي وقتئذٍ أو حتَّى إبداء انزعاجي منهم؟

هل سأتذكَّر ما يقفُ على المحكِّ من جهةِ عشراتِ النفوس الجالسة

1) James Hay and Henry Belfrage, Memoir of the Rev. Alexander Waugh (Edinburgh: William Oliphant and Son, 1839), 64-65.

أمامي، وأغلبهم من كبار السنِّ، صباح أيَّام الأحد في قاعة تتَّسع لثمان مئة نفسٍ؟ هل سأُحبُّ هذه القلَّة وأخدمُها حتَّى وقَفَتْ لجانهُم غير الكتابيَّة وتقاليدهم العتيقة وموسيقاهُم غير المحبَّبة عندي في سبيل آمالي (النزيهة، كما أظنُّ) للكنيسة؟ أعلمُ أنَّ الذين يسقطون في فخاخ "أن يطيقوا" الناس من حولهم ليسوا فقط الرُّعاة، كما أنَّ الرعاةَ ليسوا وحدَهم مَن ينتظرون بصعوبة ذلك الوقت الذي تصير فيه الكنيسة ما تخيَّلوا أن تصيره.

ليسَتِ الكنيسةُ مكانًا أو إحصائيَّاتٍ وأرقامًا، بل هي الجسد المرتبط بمن هو الرأسُ، وهي عائلة يتَّحد أفرادها بعضهم بعضًا بالتبنِّي الذي بالمسيح.

أدعو اللهَ لنا، نحن الرعاة، لنُدركَ أكثرَ فأكثرَ رَوعةَ المسؤوليَّة على تلك الرعيَّة التي وكَّلنا الله عليها بوصفنا رُعاةً ثانويِّين.[٢]

لكنِّي أيضًا أدعو الله من أجلك أنت أيُّها المؤمن بالمسيح، سواء كنتَ شيخًا أم طفلًا في الإيمان، لتُدركَ أكثرَ فأكثر مسؤوليَّتك لتُحبَّ وتخدِم وتُشجِّع وتُساعد على مُحاسبة أفرادِ عائلة كنيستك. ففي ما يختصُّ بأقاربك الذين من لحمك ودمك، أثقُ بأنَّك تُدركُ مسبَّقًا الخطأ الجسيمَ الذي وقعَ فيه قايين حينما قال للرَّبِّ مُقاوِمًا: "أأنا حارسٌ لأخي؟"، لكنِّي أرجو أن تُدرِك، إنْ لم يسبقْ لكَ وفعلت هذا، مسؤوليَّتك الأعلى تُجاه إخوتك وأخواتك في عائلة الكنيسة.

"وكانَ الجَمعُ جالِسًا حَوْله [أي حول يسوع]، فقالوا

٢) رعاةٌ ثانويُّون (Under-shepherds): مصطلحٌ تستخدمُه الكنيسة الغربيَّة للإشارة إلى رعاة الكنائس على أساسِ أنَّ المسيحَ يسوع هو الراعي الأعظم (المترجم).

له: "هوذا أُمُّكَ وإخوَتُكَ خارِجًا يَطلُبونَكَ". فأجابَهُمْ قائلًا: "مَن أُمِّي وإخوَتي؟". ثمَّ نَظَرَ حَوله إلَى الجالِسينَ وقالَ: "ها أُمِّي وإخوَتي، لأنَّ مَنْ يَصنَعُ مَشيئَةَ الله هو أخي وأُختي وأُمِّي"" (مرقس ٣: ٣٢-٣٥).

الفصل ٣

ما ينبغي لكلِّ كنيسةٍ أن تطمحَ لتكون عليه: سليمةٌ وصحِّيَّة

ماذا ترغب لأولادك أن يكونوا عليه إذا كُنتَ مؤمنًا بالمسيح؟ أو ما الذي ترغب فيه لعائلتك إذا كنتَ ابنًا مؤمنًا بالمسيح؟ لا بدَّ أنَّك ترغب في رؤية عددٍ من السمات تتحلَّى بها عائلتك، كالمحبَّة والفرح والقداسة والوحدة ومخافة الله. وقد يتبادر لك المزيد من الصفات، لكن فلنحاول حَصْرَ جميع هذه المزايا في كلمةٍ واحدة: سليمة، أي أنَّك تُريد عائلةً سليمة- عائلةً يعمل فيها الأفراد ويحيون معًا بمحبَّةٍ مُتبادلة كما قصد الله للعائلة أن تفعل من البداية.

كذلك هو الأمر لكنائسنا؛ فأنا أُحاججُ أنَّ على المسيحيِّين، رعاةً كانوا أم أعضاءً في الكنيسة، أن يطمحوا بأن تكونَ كنائسهم سليمة.

ربَّما هناك كلمةٌ أفضلُ لوَصفِ ما ينبغي للكنيسة أن تكون عليه من كلمة "سليمة"؛ فنحنُ في صددِ الحديث بشأن جماعةِ الناس المفديِّين بدم الابن الأزليّ، ملك الملوك وربِّ الأرباب. فهل كلمة "سليمة" أفضل كلمةٍ أختارها للوصف؟ على أيَّة حال، أنا أُحبِّذُ استخدام كلمة **سليمة** لأنَّها تستحضر إلى الذهن صورةَ الجسدِ الذي يحيا وينمو كما ينبغي له

ذلك. فمع أنَّه قد لا يخلو من المشكلات وربَّما لم يكتمل بعدُ، فإنَّه يتَّجه نحو ذلك، وهو جسدٌ يفعل ما ينبغي له أن يفعل؛ لأنَّ كلمة الله تُرشده إلى ذلك.

كثيرًا ما أُذكِّرُ رعيَّتي بالفرق ما بين المؤمن بالمسيح وغير المؤمن به في مُحاربة الخطيَّة في حياتهما. وليس مفادُ هذا الفرق أنَّ غير المسيحيِّ يُخطئ أمَّا المسيحيُّ فلا، بل يتجلَّى الفرقُ في الجانب الذي يتَّخذه الفرد في المعركة؛ فالمسيحيُّ يصطفُّ إلى جانب الله ضدَّ الخطيَّة، أمَّا غير المسيحيِّ فيتَّخذ جانب الخطيَّة ضدَّ الله. وبعباراتٍ أُخرى، حينما يُخطئ المؤمن فهو يُسرع إلى الله وإلى كلمته ويقول: "يا ربّ، أرجو أن تُعينَني على محاربة الخطيَّة"، أمَّا غير المؤمن- وإنِ اعترفَ بخطيَّته- فإنَّه يُجيبُ عمليًّا: "أرغب في خطيَّتي أكثر من رغبتي في الله".

ليست الكنيسة السليمة كنيسةً مثاليَّة تخلو من الخطيَّة، ولا كنيسةً أمسكَتْ بزِمام الأمور كلِّها، بل هي كنيسةٌ تسعى على الدوام إلى اتِّخاذ جانب الله في المعركة ضدَّ الشهوات السيِّئة التي يبثُّها العالم والشرِّير وطبيعتنا الخاطئة. إنَّها كنيسةٌ لا تكُفُّ عن السعي نحو تغيير ذاتها إلى ما تكشفه كلمة الله.

فلآتِ بتعريفٍ أكثر دِقَّة، وسننظر بعد هذا إلى عددٍ من نصوص الكتاب المقدَّس التي تدعم هذا التعريف: **الكنيسة السليمة هي الرعيَّة التي تعكس صفاتِ الربِّ أكثر فأكثر بالتوافق مع ما كشفته كلمة الله عن صفاته.**

فإذا سألني أحد الرعاة عن السِّمة التي قد أحثُّه على التطلُّع إليها لأجل كنيسته، فربَّما أقول له: "كنيسةٌ سليمة- كنيسةٌ تعكس صفاتِ الرَّبِّ

أكثر فأكثر بالتوافق مع ما كشفته كلمة الله عن صفاته". أمَّا أنت أيُّها المؤمن بالمسيح، فما الكنيسةُ التي قد أنصحُك بأن تنضمَّ إليها وتخدمها وتسعى نحوها بصبرٍ وطولِ أناة؟ كنيسةٌ سليمة، كنيسةٌ تعكس صفات الرَّبِّ أكثر فأكثر بالتوافق مع ما كشفته كلمة الله عن صفاته.

إنْ أعرتَ انتباهك جيِّدًا لما قلتُه، ستجدُ أنِّي كرَّرتُ حرف التشكيك "قد"، وهذا لسببين: الأوَّل أنَّي لا أُريدُ أن أُفهَمَ بكَوني أقترح أنَّ هذه هي الطريقة الوحيدة لنَصِفَ بها ما ينبغي للكنيسة أن تكونَه؛ فالمناسبات والغايات المختلفة قد تتطلَّب وصفًا مختلفًا، وقد يبدأ أحد الكُتَّاب وصفَه للكنيسة بُغيةَ الردِّ على البرِّ الذاتيِّ أو الاستهتار الذي يُبديه بعض الأشخاص فيقول: "أكثر ما ينبغي لكنائسنا أن تكون عليه هو التمركُز حول الصليب". ولهذا القول أهتف "آمين!". وقد يُريدُ كاتبٌ آخرَ بهدف الردِّ على شحِّ التمسُّك بالنصِّ الكتابيِّ في كنائسنا أن يدعوَ إلى كنائس تتمركز حول الكتاب المقدَّسِ، وهنا أيضًا سأهتف: "آمين!".

وثانيًا، لا أُريد أن أفترض أنْ لا أحد غيري يُمكنُه أن يُعبِّر بصورةٍ أفضل عمَّا أُحاول إثباته؛ فببساطة هذا أفضل ما في وُسعي فعله في الوقت الحاضر لشرحِ ما أومنُ بأنَّه قصدُ الكتاب المقدَّس المركزيُّ الذي ينبغي أن نتطلَّع إليه من أجل كنائسنا- أن تعكس صفات الرَّبِّ كما تكشفها كلمته.

هل هناك مسيحيٌّ لا يرغبُ في هذا؟

من الطبيعيِّ أن يعني تصوُّرُ صفات الله كما تكشفها كلمته البدء بكلمة الله، لكن لماذا علينا اللجوء إليها، لا اللجوء إلى "ما ينجح" لتحديد ما ينبغي لكنائسنا أن **تكونه** وأن **تفعله**؟ قال بولس لتيموثاوس راعي كنيسة

أفسس في رسالته الثانية إليه أنَّ الكتاب المقدَّس يجعلُه "متَأَهِّبًا لكلِّ عَمَلٍ صَالح". وبكلماتٍ أُخرى، ليس من عملٍ صالحٍ لا يُؤهِّبُ الكتابُ المقدَّسُ تيموثاوسَ وإيَّانا له. فإنْ كان هناك أمرٌ ما تظنُّ كنائسنا أنَّه ينبغي لها أن تكونَ عليه أو أن تفعله وهو ليس مذكورًا في كلمة الله، سيكون بولسُ مُخطئًا في ما قاله؛ لأنَّ هذا يُملي علينا أنَّه لا يُمكن لنا أن نقول إنَّ الكتاب المقدَّس يؤهِّبنا "لكلِّ عملٍ صالح".

هل يعني هذا أنَّه لا يُمكنُنا استخدام عقولنا الفذَّة التي وهبنا الله إيَّاها؟ كلَّا! إنَّما أُريدُ هنا أن نبدأ بالكتابِ المقدَّس لنرى ما سنجده.

أَرغب في التوقُّف عند ستِّ محطَّاتٍ من سَرْدِ الكتاب المقدَّس ستُساعدنا على اكتشافِ أنَّنا نُريد كنائسَ تعكسُ صفات الله أكثر فأكثر، وأنَّ هذه الصفات مُعلنٌ عنها في كلمته. فالكتابُ المقدَّس يسردُ لنا قصَّةً تتشعَّبُ منها العديدُ من الحبكات الفرعيَّة، التي تلتحمُ معًا، رغم عددها الهائل، لتنسجَ قصَّةً أساسيَّةً واحدة. والهدف من هذا هو أن نكتشفَ إنْ كان يُمكنُ لنا إيجاد ما يُريده الله للكنيسة في السَّردِ التاريخيِّ هذا.

١) الخلق

يُخبرنا سفرُ التكوينِ أنَّ الله خلقَ الزَّرعَ والحيوان "كأجناسِها"؛ كلُّ تفاحةٍ على نَسَقِ كلِّ تفاحةٍ أُخرى، وكلُّ زرافةٍ على نَسَقِ كلِّ زرافةٍ أُخرى. أمَّا عن البشر، فيُخبرنا الكتابُ المقدَّس: "نَعمَلُ الإنسانَ على صورتنا كَشَبهنا" (تكوين ١: ٢٦)؛ أي أنَّ الإنسانَ ليس على نَسَقِ كلِّ إنسانٍ آخرَ، بل على شبه صورة الله، ليعكسَ اللهَ كما في مرآةٍ ويُمثِّله بتفرُّد.

ونتيجةَ خلقِنا على صورة الله بطريقةٍ فريدة، علينا نحنُ البشرَ أن

نُصوِّر الله ومجده للخليقة كلِّها. وكما يتمثَّلُ ابنٌ بأبيه ويتبعُ في خُطى حِرفَته (تكوين ٥: ١ وما يتبع، لوقا ٣: ٣٨)، صُنع الإنسانُ ليُمثِّل صفاتِ الله وحُكمَه على الخليقة: "...فَيتسلَّطونَ على سَمكِ البَحر وعلى طَيرِ السَّماء وعلى البَهائِم، وعلى كلِّ الأَرض، وعلى جَميع الدبَّاباتِ التي تَدِبُّ على الأَرض" (تكوين ١: ٢٦).

٢) السقوط

غير أنَّ الإنسان عقدَ العزمَ ألَّا يمثِّل حُكمَ الله، فثارَ على الله وذهب في طرقه ممثِّلًا نفسَه وحُكمَه الشخصيّ. وهكذا أعطاه الله ما أراد طاردًا إيَّاه من الحضرة الإلهيَّة، فلم يتمكَّن الإنسانُ بعدَها من الاقتراب إلى الله بنفسه.

هل احتفظَ الإنسانُ بصورة الله بعد السقوط؟ نعم؛ فسِفرُ التكوين يعود ويؤكِّد أنَّ الإنسان خُلقَ على "صورة" الله (تكوين ٥: ١، ٩: ٦)، إلَّا أنَّ هناك تشويهًا أصاب هذه الصورة. كما أنَّ المرآة كُسِرت، إنْ صحَّ التعبيرُ، فانعكست منها صورةٌ مغلوطة متداخلة الزوايا. ولأنَّنا في طبيعتنا الخاطئة نُحاول تصوُّر شيءٍ عن الله، يختلطُ فينا الحقُّ والباطل. وبكلمات اللاهوتيِّين، صار الإنسانُ "مُذنِبًا" و"فاسدًا".

٣) إسرائيل

كانت لدى الله برحمته خُطَّةٌ **ليخلِّص ويستخدم** مجموعةً من الناس ليُحقِّقَ مقاصده الأصليَّة للخليقة؛ أي إظهار مجده. فوعدَ إنسانًا اسمه أبرام أن يُباركه ويبارِكَ نسلَه، ليكونوا هُم من هذا بركةً لشعوب الأرض كلِّها (تكوين ١٢: ١-٣). لذلك دعاهُم الله "أمَّةً مُقدَّسة" و"مملكةَ كهنة"

(خروج ١٩: ٥-٧)؛ ويعني هذا أنَّهم خُصِّصوا ليتوسَّطوا صفاتِ الله ومجده أمام الأُمم بإطاعة الناموس الذي أعطاهم إيَّاه (كما كان يُفترَض بآدم أن يفعل). وكأنَّ الله كان يأمرُ بني إسرائيل أن يُرُوا العالم مَن هو، فقال لهم: "كونوا قدِّيسينَ لأنِّي أنا قُدُّوس" (لاويِّين ١١: ٤٤، ١٩: ٢، ٢٠: ٧).

حتَّى إنَّه دعا هذه الأُمَّة "ابنًا" له، إذ يُتوقَّعُ من الأبناء اتِّباع خُطى أبيهم (خروج ٤: ٢٢-٢٣). ووعد أن يسكُنَ مع ابنه في أرضٍ أعطاهم إيَّاها لتكونَ كمنبرٍ تُذيعُ الأمَّةُ منه مجدَ الله (١ملوك ٨: ٤١-٤٣).

غير أنَّ الله حذَّرَ ابنه بالطَّرد من الأرض إذا ما فَشِلَ في طاعته وإظهار مجد صفاته الشخصيَّة والمقدَّسة. وما حدث بعد هذا بإيجازٍ هو أنَّ الابنَ لم يكن طائعًا، فطردَه الله من محضره.

٤) المسيح

أحد أهمِّ الدروس التي يُمكنُ تعلُّمها ممَّا حدثَ مع بني إسرائيل هو أنَّ البشرَ الساقطين لا يستطيعون تصويرَ الله بأنفسهم- وإنْ توفَّر لهم ناموسُ الله وأرضُه وحضوره. يا لها من أحداث وقعَتْ مع بني إسرائيل تبعثُ فينا نحن أيضًا الخوفَ والتواضع! الله وحده هو القادرُ على تصوير ذاته، وإيَّاهُ وحده مَن يستطيعُ تخليصنا من الخطيَّة والموت.

فأرسل الله ابنه الوحيدَ ليولدَ "في شِبهِ الناس". وقد خضَعَ هذا الابنُ الحبيبُ الذي سُرَّ به الآب لوصايا الله، وقام بما فشلَ به آدم، وقاومَ الشيطان، فقال للشيطان لمَّا جاء ليُجرِّبه في البرِّيَّة: "لَيسَ بِالخبزِ وَحده يَحيا الإنسانُ، بَل بكلِّ كَلمةٍ تَخرُجُ من فَم الله" (متَّى ٤: ٤).

وقام أيضًا بما فشل فيه بنو إسرائيل؛ فعاش بحسبِ مشيئة الله وناموسه تمامًا: "ولَستُ أَفعَلُ شَيئًا من نَفسي، بَل أَتكلَّمُ بهذا كما علَّمَني أبي" (يوحنَّا ٨: ٢٨؛ وراجع أيضًا ٦: ٣٨، ١٢: ٤٩).

وقد أمكَنَ هذا الابن، الذي صوَّر الآبَ بالكامل، أن يقولَ لفيلِبُّس: "الذي رَآني فَقَدْ رأى الآب" (يوحنَّا ١٤: ٩).

الولدُ سرُّ أبيه.

وبالرجوع إلى رسائل العهد الجديد، نجد أنَّ كتَّابها أشاروا إليه بعبارات مثل "هو صورةُ الله غَيرِ المنظور" (كولوسِّي ١: ١٥) وأيضًا "هو بَهاءُ مَجده [مجد الله]، ورَسمُ جَوهَره" (عبرانيِّين ١: ٣). وهكذا، أعاد يسوع المسيح مجدَ صورةِ الله بوصفه آدم الأخير ومسيَّا بني إسرائيل.

وإلى جانب إشعاع المسيح بقداسة الله المجيدة بطاعته للناموس، بيَّن أيضًا رحمة الله ومحبَّته المجيدة بالموت على الصليب من أجل الخُطاة، ليدفعَ الثمنَ المستحقَّ عن ذنبهم (يوحنَّا ١٧: ١-٣)، وقد أشار العهد القديم كلُّه إلى هذه الذبيحة البَدَليَّة؛ فنذكرُ مثلًا الحيواناتِ التي ذُبحَت ليُغطَّى عُريُ آدم وحوَّاء بعد أن أخطأا، والكبشَ الذي وفَّره الله لإبراهيم وإسحاق ليُخلِّص إسحاق. وكيف أنَّ يوسُفَ الذي باعه إخوته وبذلوه صارَ يومًا وسيطًا للأُمَّة، وكيف رشَّ بنو إسرائيل دم الحمل على أعتاب بيوتهم لإنقاذ أبكارهِم، ونذكرُ أيضًا العائلاتِ اليهوديَّة وهي تأتي بقربان الخطيَّة إلى ساحة الهيكل واضعين أيديهم على رأس الحيوان بينما يذبحونه هُناك إعلانًا منهم أنَّ "دم الحيوان المسفوك كان يجب أن يكون دمي"، ورئيسَ الكهنة الذي دخلَ قدسَ الأقداسِ مرَّةً كلَّ سنة ليُقدِّمَ ذبيحةَ تكفيرٍ عن

كلِّ الشعب، ونذكُر كذلك ما وعد به النبيُّ إشعياء حينما قال: ''وهو مَجروحٌ لأجلِ مَعاصينا، مَسحوقٌ لأجلِ آثامِنا. تأديبُ سلامِنا علَيهِ، وبحُبُرِهِ شُفينا'' (إشعياء ٥٣: ٥).

كلُّ هذا وأكثر أشار إلى يسوع المسيح الذي ذهب طوعًا إلى الصليب ليكونَ حملَ الله. ذهبَ المسيحُ إلى الصليب، كما قال لتلاميذه في العليَّة، ليُقدِّم ''عهدًا جديدًا بدمه'' لكلِّ مَن يتوب ويؤمن.

٥) الكنيسة

وهكذا، نحنُ الذين كنَّا أمواتًا في الخطايا، أحيانا الله حينما عُمِّدنا في موت المسيح وقيامته. وهذا ما دفعَ بولس ليقول: ''لأَنَّكُمْ جميعًا أبناءُ اللهِ بالإيمانِ بالمسيح يسوعَ. لأنَّ كلَّكم الذينَ اعتَمَدتُم بالمسيح قد لَبِستُمُ المسيحَ'' (غلاطِيَّة ٣: ٢٦-٢٧)، وأيضًا: ''ثمَّ بما أنَّكُمْ أبناءٌ، أرسَلَ الله روحَ ابنِه إلى قُلوبكُم صارِخًا: "يا أبا الآبُ". إذًا لَستَ بَعدُ عَبدًا بل ابنًا، وإنْ كُنتَ ابنًا فوارِثٌ لله بالمسيح'' (غلاطِيَّة ٤: ٦-٧).

ما الذي على أبناء الله هؤلاء أن يفعلوا؟ علينا أن نعرضَ **شخصيَّةَ** الله وشبَهَه وصورتَه ومجده!

أوصانا يسوعُ أنْ نكونَ ''صانعي سلام''؛ فإنَّ الآب صنع السلام بيننا وبينه بواسطة ذبيحةِ ابنه الكفَّاريَّة (متَّى ٥: ٩).

وأوصانا يسوع أيضًا أن ''نُحبَّ أعداءنا''؛ فإنَّ الآب الذي في السماء أحبَّنا، نحنُ الذين كنَّا يومًا أعداءه (متَّى ٥: ٤٥؛ رومية ٥: ٨).

كما أوصانا يسوعُ أيضًا أن ''نحبَّ بعضنا بعضًا''؛ إذ قدَّم هو نفسه

محبَّةً لنا، وهذا سيُري العالم مَن هو يسوع (يوحنَّا ١٣: ٣٤-٣٥).

وقد صلَّى يسوع لنا "لنكون واحدًا"، كما أنَّه والآبُ واحدٌ (يوحنَّا ١٧: ٢٠-٢٣).

قال لنا يسوع أن نكون "كاملين"؛ كما أنَّ أبانا السماويَّ كاملٌ (متَّى ٥: ٤٨).

أوصانا يسوع أن نكونَ "صيَّادي الناس" ومُتلمِذين لكُلِّ الأُمم (متَّى ٤: ١٩؛ ٢٨: ١٩)، مُرسلًا إيَّانا كما أرسلَه الآب (يوحنَّا ٢٠: ٢١).

الابنُ سرُّ الآب...وكذلك الأبناء.

وهكذا، بدأ هؤلاء المغسولون من خطاياهُم بعمل المسيح، والممنوحون خليقةً جديدة وقلوبًا مولودة ثانية بعمل الروح القُدُس- إصلاحَ صورة الله الكاملة فيهم. فالمسيحُ هو باكورَتُنا (١كورنثوس ١٥: ٢٣)، وهو الذي أزالَ الحجاب وجعلَ طريقًا للكنيسة لتُبصِرَ صورةَ الآب من جديد (٢كورنثوس ٣: ١٤، ١٦). نحنُ نرى الآن صورتَه بالإيمان، و"نَتغَيَّرُ إلَى تِلكَ الصورَةِ عَينِها، من مَجدٍ إلَى مَجد" (٢كورنثوس ٣: ١٨).

أترغب في رؤية قصد الله للكنيسة مُلخَّصًا في آيتَين؟ اقرأ ما أعلنَه بولسَ هنا:

> "لكَي يُعَرَّفَ الآنَ عندَ الرؤَساءِ والسَّلاطينِ في السماويَّاتِ، بواسِطَة الكَنيسة، بحِكمةِ الله المتنَوِّعة، حَسَبَ قَصدِ الدُّهورِ الذي صَنَعَه في المسيح يَسوعَ ربِّنا" (أفسس ٣: ١٠-١١).

كيف تُعرِّفُ الكنيسةُ حكمةَ الله المتنوِّعة؟ وحده الإله كُلِّيُّ الحكمةِ

مَن يستطيعُ إيجادَ طريقٍ تتلائم فيه محبَّته مع عدله بينما يُخلِّصُ أئمةً غريبين عنه وبعضهم عن بعض، ووحده الإله كُلِّيُّ الحكمةِ من يُمكنه إيجاد طريقٍ لتحويل قلوبٍ حَجَريَّة إلى قلوبٍ لحميَّةٍ تُحبُّه وتحمده. لترى هذا القوَّات والسلاطين في الكونِ كلِّه وتتعجَّب منه!

٦) المجد

إلَّا أنَّنا سنعكسُ صورته أمثَلَ انعكاسٍ حينما نراه في المجد الأمثل: "ولكن نَعلَمُ أنَّه إذا أُظهِرَ نَكونُ مِثله، لأنَّنا سنَراه كما هو" (١يوحنَّا ٣: ٢). سنَصيرُ مُحبِّينَ مثله، ومتَّحدين مثله، وقدِّيسين كما أنَّه قدُّوس. لا تتحدَّث هذه الآيةُ بهذا وكأنَّنا سنصيرُ آلهةً، بل تَعِدُ أنَّنا سنُشعُّ بصفاته ومجده ببريقٍ مجيد، كأنَّنا مرايا موضوعةٌ قبالةَ الشمس.

هل تتبَّعتَ الأحداث؟ إليك موجزَها: خلق الله العالمَ والإنسان ليُظهِرَ مجده الشخصيّ، غير أنَّ آدم وحوَّاء اللذان كان ينبغي أن يعكسا صفاتِ الله الشخصيَّة لم يفعلا هذا، ولا فعلَ بنو إسرائيل ذلك أيضًا، فأرسلَ الله ابنه ليُبيِّن شخصيَّة الله المُحبَّة والمقدَّسة، وليضعَ على عاتقه سخطَ الله وغضبه تُجاه العالم الخاطئ؛ ففي المسيح، جاء الله ليُعلنَ عن الله؛ وفي المسيح، جاء الله ليُخلِّص.

أمَّا الآن، فالكنيسةُ التي مُنحت حياةً بالمسيح وقوَّةً بالروح القُدُس، مدعوَّةٌ لتعرض مجد الله وصفاته للعالم أجمع، ولتشهد بالكلام والفعل عن حكمتِهِ وعمل خلاصِهِ العظيمَين.

ما الأمور التي تبحثُ عنها لتكونَ في الكنيسة؟ موسيقا جيِّدة؟ أجواءٌ

عصريَّة؟ نظامُ اجتماعٍ تقليديّ؟ ماذا عن:

مجموعة من المتمرِّدين المُسامَحين...
ممَّن يُريد الله استخدامهم لإبرازِ مجده...
على مرأًى من الأجناد السماويَّة...
لأنَّهم يُخبِرون بالحقِّ عنه...
ويزدادون في مُشابهته أكثر فأكثر-
بالقداسةِ والمحبَّةِ والوحدة؟

الفصل ٤

دليلُ التعليمات الكامل: كيف نعكسُ شخصيَّةَ اللّه

أعترفُ أنِّي لستُ بارعًا في شؤون المنزل العمليَّة، كتركيب رفوفِ الكُتب ووصل جهاز الستيريو وحتَّى اكتشاف وظيفة كلِّ الأزرار على هاتفي النقَّال. ولا أجد معظم أدلَّة الاستخدام مُفيدة، فأُضطرُّ غالبًا إلى استرحام أحد أفراد العائلة أو الأصدقاء المتمرِّسين.

أشكُرُ الله أنَّ مهاراتي القليلة في هذه النواحي العمليَّة لا تقفُ عائقًا في طريق اتِّباعي دليل التعليمات الكامل المختصَّ بما جاء في الكتاب المقدَّس حول كيفيَّة إظهار الكنيسة شخصيَّة الله المجيدة؛ فالمبدأ المتَّبع هنا بسيطٌ: علينا أن نُصغيَ لكلمة الله ونتَّبعَها. خطوتان فقط: الإصغاء والاتِّباع.

بإصغائنا لكلمة الله واتِّباعنا إيَّاها يمكنُنا تصويرُ مجدِ الله وشخصيَّته، مثلُنا مثلُ سفيرٍ لأحد الملوك، أو مثلُ ابنٍ. تخيَّل ابنًا سافرَ أباه إلى بلدٍ بعيدٍ وأخذ يكتبُ لابنه رسائلَ متتالية يُعلِّمه فيها كيفيَّةَ حملِ اسم العائلة وكيفيَّةِ التصرُّفِ بمهنة العائلة. لكنْ تخيَّل ما سيحصُل إنْ لم يقرأ هذا الابن تلك الرسائل، كيف يُمكنُ أن يمثِّلَ ابنٌ في هذه الحالةِ أباه ويتصرَّفِ بمهنته؟ لا يُمكنه هذا. وكذلك الأمر مع الكنيسة المحلِّيَّة التي تتجاهل كلمة الله.

منذُ طردِ آدمَ من الجنَّة لقاء عصيانه كلمة الله، والبشريَّةُ منشقَّةٌ ضمن مجموعتَين: مَن يُطيعون كلمةَ الله ومَن لا يُطيعونها. نوحٌ أطاعها، أمَّا بُناةُ بابل فلَم يُطيعوها. إبراهيمُ أطاعها، أمَّا فرعون فلَم يطعْها. داود أطاعها، أمَّا مُعظمُ أولاده فلَم يُطيعوها. زكَّا أطاعها، لكنَّ بيلاطُس لم يفعل ذلك. بولس أطاعها، أمَّا أحد الرسل فلَم يُطعها في إحدى المرَّات.

وتستمرُّ هذه الحال على مدى تاريخ الكنيسة؛ فأثناسيوس أطاعها، أمَّا آريوس فلَم يطعها. لوثر أطاعها، أمَّا روما فلم تُطعها. ماتشن (Machen) أطاعها، أمَّا فوسدِك (Fosdick) فلم يفعل ذلك.

ومع أنِّي لا أدَّعي تبصُّرًا إلهيًّا ومعصومًا في ما يختصُّ بالمجموعة الأخيرة، فإن السردَ التاريخيَّ الكتابيَّ وحده موثوقٌ ليكشف لنا **بالتأكيد** أنَّ ما يميِّزُ شعبَ الله عن المُحتالين وغير المؤمنين هو أنَّ شعب الله يُصغون إلى كلمة الله ويهابونها، أمَّا الآخرون فلا يفعلون هذا.

لذا عانى موسى بينما خاطبَ بني إسرائيل بما يردُ في سفر التثنية وهو واقفٌ معهم على مشارف أرض الميعاد للمرَّة الثانية، إذ يبدأ كلامه بتذكيرهم بحقيقة وقوفه هناك قبل أربعين سنةً إلى جانب آبائهم الذين لم يسمعوا لكلام الله بواسطته، فلعنَهم الله وأماتهم في البرِّيَّة. ويُمكن تلخيصُ الخُطَبِ الثلاثة، التي ألقاها موسى والتي تأخُذ حيِّزَ نحو ثلاثين أصحاحًا، بالكلمات التالية: "اسمعوا. اصغوا. سجِّلوا. تذكَّروا ما قاله الله؛ فهو الذي خلَّصكم من العبوديَّة في مصر، فاسمعوا له". وفي الأصحاح ٣٠، يُلقي موسى بثِقَلِ جميع ما أدلى به على هذه الوصيَّة الواحدة: "اخترِ الحياة" (آية ١٩).

كلُّ ما كان على الشعب أن يفعلوه ليَجدوا الحياة هو الاستماع لكلمة الله وإطاعتها. كان الأمر بهذه البساطة!

ولم تختلف رسالة الله للكنيسة في العهد الجديد عن ذلك؛ فبتخليصه إيَّانا من قيود الخطيَّة والموت حين سمعنا كلمته وآمنَّا بها (رومية ١٠: ١٧)، علينا الآن أن نصغيَ لكلمته ونتَّبعَها. وبسماع ما يقوله الله واتِّباعه، نبدأ نعكسُ شخصيَّته ومجده أكثر فأكثر.

قد يعترض أحدهُم ويقول: "يبدو لي هذا كثيرَ التركيز على الداخل. أليست الكنيسةُ مدعوَّةً للتركيز على الخارج كالإرساليَّات والكرازة؟". بالتأكيد الكنيسةُ مدعوَّةٌ لهذه الأمور، وهذا جزءٌ من إبرازِ شخصيَّة الله. قال يسوع: "هَلُمَّ ورائي فأجعَلُكُما صَيَّادَيِ الناس" (متَّى ٤: ١٩). وقال أيضًا في موضعٍ آخر: "كما أرسَلَني الآبُ أرسِلُكُم أنا" (يوحنَّا ٢٠: ٢١). فحينما نخرجُ للإرساليَّات والكرازة وأيِّ عملٍ من أجل انتشار الإنجيل، نحن نتوافقُ مع كلمة الله، وبهذا نكون على توافقٍ مع متَّى ٤: ١٩ ويوحنَّا ٢٠: ٢١ والكثير من المقاطع الكتابيَّة الأُخرى. لا نقوم بها لأنَّ أحدَ اللاهوتيِّين ابتكرها، أو راقتْنا فكرةُ القيام بها، بل نعِظُ ونكرِزُ ونقوم بالكثير من الأعمال من أجل انتشار الإنجيل؛ **لأنَّ الله قال لنا في كلمته أنْ نمارس هذه الأمور**.

لكنْ في نهاية المطاف لا نجدُ التاريخَ ينقسم بحسب مبدأ مَن يكرز بالإنجيل ومَن لا يفعل هذا، إذ ليس هذا جوهرَ ما يُعرِّف الكنيسة، بل ينقسمُ التاريخ بين مَن يسمعون الله ومن لا يفعلون هذا.

لذا يُخبِرُنا **متَّى** بما قاله يسوع المسيح للشيطان في ما يتعلَّق بما يحيا

به الإنسان "بكلِّ كلِمَةٍ تخرُجُ مِن فمِ اللهِ" (متَّى ٤: ٤)، علاوةً على كلمات يسوع الأخيرة لتلاميذه ليُتلمذوا جميع الأمَم ويُعمِّدوهم: "وعلِّموهُم أنْ يَحفَظوا جميعَ ما أوصَيتُكُمْ به" (متَّى ٢٨: ٢٠).

كما يروي **مرقُس** المثل الذي قاله يسوع عن البِذارِ التي سقطَتْ في أربعةِ مواضع مختلفة كمثلٍ عن كلمة الله (مرقس ٤)، وفحواه أنَّ بعضَ الناس سيقبَلون الكلمةَ، بينما يرفضُها بعضهم الآخر.

لذا يصفُ لنا **لوقا** أيضًا أنَّه شاهِدُ عِيانٍ للكلمة وخادمٌ لها (لوقا ١: ٢)، ويُخبرنا بما وعده يسوع به قائلًا: "طوبَى للذينَ يَسمَعونَ كلامَ الله ويَحفَظونَه" (لوقا ١١: ٢٨).

كما أنَّ **يوحنَّا** الرسول يُخبرنا بشأن كلمات يسوع الأخيرة لبطرُس، والتي كرَّرها ثلاثَ مرَّات: "ارعَ خِرافي" (يوحنَّا ٢١: ١٥-١٧). كيف يرعاهُم؟ بكلمة الله.

ومن أجل هذا، وقتما اجتمعت الكنيسةُ الأولى، كما يُخبرُنا سفر **أعمال الرُسل**، كانوا "يواظِبونَ علَى تعليمِ الرُّسُلِ، والشَّرِكَةِ، وكسرِ الخُبزِ، والصَّلَوات" (أعمال ٢: ٤٢).

ولهذا قال بولس الرسول لأهل **روما**: "الإيمانُ بالخَبَر، والخبَرُ بكلِمةِ الله" (رومية ١٠: ١٧).

كما قال لأهل **كورنثوس** إنَّ "كلِمَةَ الصَّليبِ" هي "قوَّةُ الله" للخلاص (١كورنثوس ١: ١٨): لأنَّه "استَحسَنَ الله أنْ يُخلِّصَ المؤمنينَ بجَهالةِ الكِرازة" (١كورنثوس ١: ٢١). وقال للكنيسة نفسها لاحقًا: "لأنَّنا لَسنا كالكَثيرينَ غاشِّينَ كلمةَ الله" (٢كورنثوس ٢: ١٧؛ ٤: ٢) وهذا من أجل منفعتهم الأبديَّة.

ونقرأ أيضًا في الرسالة إلى أهل **غلاطيَّة**: "إنْ كانَ أحَدٌ يُبَشِّرُكُمْ بغَيرِ ما قَبِلتُمْ، فليَكُنْ "أناثيما"!" (غلاطيَّة ١: ٩).

وكذلك قال بولس لأهل **أفسس** إنَّهم صاروا هُم أيضًا في المسيح "إذ سمِعتُم كلِمةَ الحقّ، إنجيلَ خَلاصِكُم" (أفسس ١: ١٣)، وقال أخيرًا لهُم في الرسالة ذاتها إنَّ الله "أعطَى البَعضَ أنْ يكونوا رُسُلًا، والبَعضَ أنبياءَ، والبَعضَ مُبَشِّرينَ، والبَعضَ رُعاةً ومُعلِّمين، لأجلِ تكميلِ القِدِّيسينَ لعَمَلِ الخِدمة، لبُنيانِ جَسَدِ المسيح، إلى أن نَنتَهي جميعُنا إلَى وحدانيَّةِ الإيمانِ ومَعرفَةِ ابنِ الله. إلى إنسانٍ كامِلٍ. إلى قياسِ قامَةِ مِلءِ المَسيح" (أفسس ٤: ١١-١٣).

ومن أجل ذلك قال لأهل **كولوسي**: "لتَسكُنْ فيكُم كلِمَةُ المسيح بغِنًى، وأنتُم بكلِّ حِكمةٍ مُعَلِّمونَ ومنذِرونَ بَعضُكُم بَعضًا" (كولوسِّي ٣: ١٦).

وقال أيضًا لأهلِ **فيلبِّي** إنَّ قيوده آلت إلى هذا: "أكثَرُ الإخوَةِ... يَجتَرئونَ أكثَرَ علَى التَّكلُّم بالكلِمَة بلا خَوفٍ" (فيلبِّي ١: ١٤).

وقال كذلك لأهل **تسالونيكي**: "من أجلِ ذلكَ نَحنُ أيضًا نَشكُرُ الله بلا انقِطاع، لأنَّكُم إذ تسَلَّمتُم منَّا كلِمةَ خَبَرٍ من الله، قَبِلتُموها لا ككلِمةِ أُناسٍ، بل كما هي بالحقيقَةِ ككلِمةِ الله، التي تعمَلُ أيضًا فيكُم أنتمُ المؤمنين" (١تسالونيكي ٢: ١٣). وأوصاهُم أيضًا في رسالته الثانية: "فاثبُتوا إذًا أيُّها الإخوَةُ وتَمَسَّكوا بالتَّعاليم التي تعَلَّمتُموها، سواءٌ كانَ بالكلامِ أم برِسالَتِنا" (٢تسالونيكي ٢: ١٥).

وفي موضعٍ آخر قال بولس الرسول لتلميذه **تيموثاوس** إنَّه يُشترَط في أيِّ شيخٍ قد يختاره للكنيسة أن يكون "صالِحًا للتَّعليمِ"، كما يجب أن يكونَ الشَّمامسةُ المختارون لخدمة الكنيسة "لهُم سرُّ الإيمانِ بضَميرٍ

طاهِر" (١تيموثاوس ٣: ٢، ٩). وفي الرسالة الأُخرى التي أرسلَها لتيموثاوس، قال له إنَّ وصفَه الوظيفيَّ يتمحورُ حول أمرٍ أساسيٍّ واحدٍ:

> "اكرِزْ بالكلِمَةِ. اعكُفْ علَى ذلكَ في وقتٍ مُناسِبٍ وغَيرِ مُناسِب. وبِّخ، انتَهِرْ، عِظْ بكلِّ أناةٍ وتَعليم. لأنَّه سيكونُ وقتٌ لا يَحتَملونَ فيهِ التَّعليمَ الصَّحيحَ، بل حَسَبَ شَهَواتهم الخاصَّةِ يَجمَعونَ لهُم مُعلِّمينَ مُستَحكَّةً مَسامِعُهم، فيَصرِفونَ مَسامِعَهم عن الحقِّ، ويَنحَرِفونَ إلَى الخُرافاتِ" (٢تيموثاوس ٤: ٢-٤).

ولهذا فرح بولس مع **تيطس** بأعمال الله، كما يظهر في قوله: "أظهَرَ [الله] كلِمَتَه في أوقاتِها الخاصَّة، بالكِرازَةِ التي اؤتُمِنتُ أنا علَيها، بحَسَبِ أمرِ مُخلِّصِنا الله" (تيطس ١: ٣).

ونقرأ أيضًا أنَّ بولسَ حثَّ **فليمون** على مُشاركة "إيمانه" بمثابرةٍ؛ حيثُ لا تُشير كلمة "إيمان" هنا إلى حالةٍ عاطفيَّة، بل إلى معتقداتٍ إيمانيَّةٍ واضحة (فليمون ٦).

وبسبب هذا حذَّر كاتِبُ **العبرانيِّين** قائلًا: "لأنَّ كلِمَةَ اللهِ حَيَّةٌ وفَعَّالةٌ وأمضَى من كلِّ سيفٍ ذي حَدَّين، وخارِقَةٌ إلى مَفرَقِ النَّفسِ والرُّوح والمَفاصِلِ والمِخاخ، ومميِّزةٌ أفكارَ القَلبِ ونيَّاتِه" (عبرانيِّين ٤: ١٢).

ومن أجل هذا ذكَّر **يعقوب** قرَّاءه أنَّ الله "شاءَ فوَلَدَنا بكلِمة الحقِّ"، وذكَّرهُم أن يكونوا "عاملينَ بالكلِمَة، لا سامِعينَ فقط خادِعينَ نُفوسكُم" (يعقوب ١: ١٨، ٢٢).

كما ذكَّر **بطرس** القدِّيسين المشتَّتين في مناطق مُختلفة أنَّهم مولودون "...ثانيَةً، لا مِنْ زَرعٍ يَفنَى، بل مِمَّا لا يَفنَى، بكلِمَةِ اللهِ الحَيَّةِ الباقيَةِ إلى الأبد" (١بطرس ١: ٢٣)، وأنَّ كلمةَ "...الرَّبِّ فتثبُتُ إلى الأبد" (١: ٢٥). وكذلك قال في رسالته الثانية: "عالِمينَ هذا أوَّلًا: أنَّ كلَّ نُبوَّةِ الكِتابِ لَيسَتْ من تفسيرٍ خاصّ. لأنَّه لَمْ تأتِ نُبوَّةٌ قَطُّ بمَشيئَةِ إنسانٍ، بل تكلَّمَ أُناسُ اللهِ القِدِّيسونَ مَسوقينَ منَ الروحِ القُدُس" (٢بطرس ٢: ٢٠-٢١).

ونقرأ كذلك على فمِ يوحنَّا الرسول: "وأمَّا مَن حَفِظَ كلِمَتَه، فحَقًّا في هذا قد تكمَّلَت محبَّةُ الله. بهذا نَعرِفُ أنَّنا فيه: مَن قالَ: إنَّه ثابِتٌ فيه يَنبَغي أنَّه كما سلكَ ذاكَ هكذا يَسلُكُ هو أيضًا" (١يوحنَّا ٢: ٥-٦)، ولهذا كتب: "وهذه هي المحبَّةُ: أن نَسلُكَ بحَسَبِ وصاياه. هذه هي الوصيَّةُ: كما سمِعتُم من البَدء أنْ تسلُكوا فيها" (٢يوحنَّا ٦)، ولهذا أعلن بفرحٍ: "ليس لي فرَحٌ أعظَمُ من هذا: أنْ أسمَعَ عن أولادي أنَّهُم يَسلُكونَ بالحَقّ" (٣يوحنَّا ٤).

بسبب أهمِّيَّة الكلمة، صرف **يهوذا** النصيبَ الأكبرَ من رسالته في تحذير قُرَّائه من المعلِّمين الكذبة (يهوذا ٤-١٦)، وتوعَّدَ بأنَّ الربَّ آتٍ "ليَصنَعَ دَينونةً على الجميع، ويُعاقِبَ جميعَ فُجَّارهم على جميع أعمالِ فُجورِهم التي فجَروا بها، وعلى جميعِ الكلِماتِ الصَّعبةِ التي تكلَّمَ بها علَيه خُطاةٌ فُجَّار" (يهوذا ١٥).

وأخيرًا، نقرأ أنَّ يوحنَّا الرسولَ أثنى بما كتبه في سفر **الرؤيا** على كنيسة فيلادلفيا: "أنا عارِفٌ أعمالَكَ...لأنَّ لكَ قوَّةً يَسيرَةً، وقَدْ حَفِظتَ كلِمَتي ولَمْ تُنكِرِ اسمي" (رؤيا ٣: ٨).

فلأُخبرْكَ يا صديقي أنَّ الكنيسة تجِدُ الحياةَ في سماعها كلمة الله، وتجِدُ هدفها في السلوك بحسب كلمة الله وإظهارها للعلن؛ فوظيفةُ الكنيسةِ هي أن تسمعَ ثمَّ تعكسَ صدى ما تسمعه، فهذا كلُّ ما في الأمر. إنَّ التحدِّيَ الأصعبَ الذي يواجهُ الكنائسَ اليوم ليس في اكتشاف الطريق نحو "أفضل الاستراتيجيَّات" أو "الحسَّاسيَّة نحو حاجات الآخر" أو "التواصل مع المجتمع" أو حتَّى "المبادرة في الخدمات"، بل اكتشاف الطريق نحو الأمانة، في الإصغاء، في الثقة والطاعة.

لنتَّعظْ من بني إسرائيل بينما كانوا يتأهَّبون لدخول أرض الميعاد، ولنسمَعْ الله يقول لنا: "اسمعي يا كنيسة ما سأقول: اتبعيني!". من المفرح أنَّنا، وخلافًا لذلك الزمن، لدينا الإعلان الكامل عن الله في يسوع المسيح، ولنا روح المسيح فينا الذي هو ختم فدائنا وعربونه. لذا نحتاج لأن نُواصِلَ الإصغاء بينما ننتقلُ إلى النصف الثاني من هذا الكتاب. فماذا يُعلِّمنا الله أيضًا في كلمته عن الكنيسة السليمة والصحِّيَّة؟ إنَّ العلامات التسع المميِّزة للكنيسة السليمة التي سنُناقشها تاليًا ليست أفكاري على ما آمُل، بل هي مجرَّد محاولةٍ لدفعنا **جميعًا** لمواصلة الإصغاء إلى كلمة الله. عُدْ إلى الفهرس لتفهمَ ما أقصده: الوعظُ التفسيريُّ (أو **الكتابيُّ**)، علمُ اللاهوت الكتابيُّ، فهمٌ كتابيٌّ لبشارة الإنجيل، فهمٌ كتابيٌّ للاهتداء، فهمٌ كتابيٌّ لعضويَّة الكنيسة، التَّأديبُ الكنسيُّ الكتابيُّ، وما إلى ذلك.

أتمنَّى إنْ خالفتَني الرأي في ما أقوله في الفصول التالية أنَّك تفعلُ ذلك على أساسِ أنَّ الكتاب المقدَّسَ يقول شيئًا خلافًا لما أقوله أنا؛ أي من ناحيةِ التفسير. وبعباراتٍ أُخرى، أرجو أن تجعلَ أنت أيضًا من سماعك لكلمة الله مرشدك إلى ما تظنُّ أنَّ على الكنيسةِ أن تكونَه وتفعلَه.

نصائح سريعة:
إذا كُنت تُفكِّر في مغادرة كنيسةٍ ما...

قبل أن تُقرِّر المغادرة

١. صلِّ.

٢. أعلِمْ راعيَ كنيستك الحاليَّ بما تُفكِّرُ فيه قبل أن تذهبَ إلى كنيسةٍ أُخرى أو تتَّخذ قرارك بالانتقال إلى مدينةٍ أُخرى. اطلُب منه المشورة.

٣. افحص نيَّاتك. هل رغبتك في المغادرة تنبعُ من مشكلاتٍ أو إحباطاتٍ شخصيَّة وآثمة؟ إنْ كان السببُ عقائديًّا، هل هذه الإشكالات العقائديَّة بالغة الأهمِّيَّة؟

٤. افعَلْ ما في وُسعك لإصلاح أيَّةِ علاقةٍ مقطوعة.

٥. فكِّر في "براهين النعمة" التي رأيتها في حياة الكنيسة؛ أيِ المراحل التي كان عمل الله فيها ظاهرًا. إنْ لم تجِدْ أيَّ برهانٍ على نعمة الله، فقد تحتاج إلى امتحان قلبك مرَّةً أُخرى (متَّى ٧: ٣-٥).

٦. اتَّضع. تذكَّر أنَّك لا تملك جميعَ الحقائق، وقيِّمِ الأفرادَ والمواقفَ بوداعة (لا تظنَّ السوء).

٧. لا تُسبِّب الانشقاقَ في الجسد.

٨. اتَّخِذِ الحذرَ ولا تزرعْ عدم الرِّضى حتَّى في أقرب

أصدقائك. وتذكَّر أنَّك لا تُريد لأيِّ شيءٍ أن يُعيقَ نموَّهُم بالنعمة في هذه الكنيسة. ارفضْ أيَّة رغبةٍ في النميمة (والتي يُشار إليها أحيانًا "بالفضفضة" أو "التعبير عن المشاعر").

٩. صلِّ لأجل الرعيَّة والقادة وباركهم. وابحث عن وسائل للقيام بهذا عمليًّا.

١٠. إن أذاك أحدُهُم، فاغفر له، كما غُفِرَ لك.

الجزء الثاني

العلامات الجوهريَّة للكنيسة السليمة

العلامات الجوهريَّة للكنيسة السليمة

إذًا توصَّلنا إلى قرارٍ أنَّنا نرغبُ في كنائسَ سليمة؛ أي أنَّنا نُريدُ رعايا من الناس يعكسون شخصيَّة الله أكثر فأكثر كما أَعلَنت عنها كَلِمته. لا فرق إنْ كانت الكنائسُ كبيرةً أو صغيرة، ولا فرق إنْ كانت في القرية أو في المدينة، وإنْ كانت ذات طابعٍ تقليديٍّ أو طابعٍ عصريٍّ. لا فرقَ إنِ اجتمعَتِ الكنيسةُ في بيوتٍ أو مبانيَ أو مدارسَ؛ فالمهمُّ أن تُظهِرَ للعالم كلِّه حقيقةَ إلهنا القدُّوس والمحبِّ، لعلَّها تشهَدُ عن مجد الله السنِيِّ بالكلام والفعل.

فيبقى لدينا سؤالٌ لا بدَّ منه: **ما الذي يُمَيِّزُ الكنيسةَ السليمة؟**

إذا كنَّا في صدد الحديث بشأن المحافظة على الجسم سليمًا، فإنَّ الحديث سيؤول إلى مواضيع كالنظام الغذائيِّ المتوازن وممارسة التمارين الرياضيَّة والقسط الكافي من النوم وهكذا. لكن ماذا بشأن جسد الكنيسة؟

سأُعدِّدُ في هذا الجُزء والجُزء الذي يليه تسعَ علامات تُميِّز الكنيسة السليمة، لكنَّها ليست كلَّ ما يُرغبُ المرءُ في الحديثِ بشأنه من جهةِ الكنيسة، وليست حتَّى بالضرورةِ أهمَّ ما يُميِّز الكنيسة. فالمعموديَّةُ والعشاءُ الربَّانيُّ، مثلًا، عنصرانِ أساسيَّانِ في الكنيسة الكتابيَّة، وهذا ما سيُخبرك به طلَّابُ تاريخِ الكنيسة. إلَّا أنِّي لا أخوضُ نقاشًا مُباشرًا في الحديث بشأنهما؛ والسببُ هو

أنَّ كلَّ كنيسةٍ غالبًا ما تواظبُ على مُمارستِهما. أمَّا العلامات التسع التي سنخوض فيها هنا فهي علاماتٌ قد تُبرزُ الكنيسةَ الكتابيَّة والسليمة عن أَخَواتِها السقيمات. وقد صارت هذه العلاماتُ التسعُ نادرةً جدًّا في يومنا هذا، لذا فمن الضروريِّ جدًّا أن نُعيرَها انتباهَنا ونُنمِّيها في كنائسنا.

في هذا الجُزء، سأتوسَّعُ في الحديث بما دعوتُه بثلاث علامات **جوهريَّة** للكنيسة السليمة. هذه العلامات جوهريَّةٌ تمامًا ولا غنى عنها؛ فإنِ استأصلْتَ الوعظَ التفسيريَّ واللاهوت الكتابيَّ والفهم الكتابيَّ لبشارةِ الإنجيل، فسترى صحَّةَ الكنيسة تَنهارُ سريعًا، بل توقَّع أن تجدَ صلاحيَّتها مُنتهية (وإنْ كانت أبوابها مفتوحةً شكليًّا).

يؤسفني أن أقولَ إنَّ تاريخَ الكنيسةِ حافلٌ بحالاتٍ سعى فيها الرُّعاةُ إلى جعل كنائسهم "مواكِبة" و"عصريَّة"، لربَّما بنيَّات صالحة، بالمساومة على هذه العلامات الثلاث، لكنَّهم بطريقة ما حاولوا أن يكونوا أحكمَ من الله. لا تمشِ هذا الدرب، يا صديقي!

إنْ سألني أحدُهم عن رأيي في ما إذا كان يُمكنُه قبول رعايةِ كنيسةٍ لا تُريدُه أن يَعِظَ وعظًا تفسيريًّا، فإنِّي أُحاول أن أُثنيه عن قبول هذا الدَّور. وإنْ أخبرتني أُختٌ ما في الإيمان عن بشارةِ إنجيلٍ كاذبة تُعلَّمُ باستمرارٍ من مِنبر كنيستها، فاحتمالُ تشجيعي لها على التفكير بالذهاب إلى كنيسةٍ أُخرى واردٌ جدًّا.

ما الذي يدفعُني إلى قَول هذا بحدَّةٍ؟ للسَّبب ذاته الذي سيدفعني لصدِّ أحدهم عن الذهاب إلى مطعمٍ لا يُقدِّمُ الطعامَ، إنَّما صورًا للطَّعام. فكلمة الله، وكلمةُ الله وحدها، هي ما يُعطي الحياة!

الفصل ٥

علامة جوهريَّة تُميِّز الكنيسة السليمة: الوعظُ التفسيريّ

إنْ كانت الكنيسةُ السليمة رعيَّةً تعكسُ صفاتِ الله الشخصيَّةَ أكثر فأكثر كما أعلنَتْها كلمتُه، فمن الجليِّ أنَّ بناءَ الكنائس السليمة يبدأ بدَعوةِ المسيحيِّين إلى سماع كلمة الله؛ فكلمةُ الله هي أصلُ الحياة الصحِّيَّة والسليمة. وهي التي تُغذِّي وتُنمِّي وتصون فَهْمَ الكنيسة لبشارة الإنجيل نفسها.

ويعني هذا أنَّ راعيَ الكنيسة والرعيَّة كلَيهما يحتاجان إلى التزام الوعظ التفسيريّ. الوعظُ التفسيريُّ هو ببساطةٍ الوعظ الذي يُسلِّطُ الضَّوءَ على كلمة الله؛ فهو يتناولُ مقطعًا كتابيًّا معيَّنًا، ويشرحه ثُمَّ يطبِّق معنى هذا المقطع على حياةِ الرعيَّة. والوعظُ التفسيريُّ هو أكثرُ أنواع الوعظِ جاهزيَّةً للوصول إلى ما يقولُه الله لشعبه، وأيضًا لمن هُم ليسوا من شعبه. التزام الوعظ التفسيريِّ هو التزامُ سماع كلمة الله.

هناك أنواعٌ عديدةٌ من الوعظ؛ "فالوعظُ المتعلِّقُ بموضوع" (Topical Preaching)، مثلًا، يجمعُ نصًّا أو اثنين أو مجموعةً من النصوص لتُعالجَ موضوعًا معيَّنًا، كالصلاة أو العطاء. أمَّا "الوعظ المتعلِّقُ بسِيَر الحياة" (Biographical Preaching) فيتناولُ حياةَ أحد شخصيَّاتِ الكتاب المقدَّس

ويعرضُ حياتها كمَسْرحٍ لنعمة الله ومثالٍ على الرجاء والأمانة. وقد توظِّفُ هذه الأنواع الأُخرى في مناسباتٍ خاصَّة، إلَّا أنَّ النظامَ المعتادَ للكنيسةِ ينبغي أن يتألَّف من شرحِ مقاطعَ كتابيَّة مُحدَّدة من كلمة الله وتطبيقها.

الوعظُ التفسيريُّ وممارسته مسبوقٌ باعتقادٍ جادٍّ أنَّ لما يقولُه الله سلطةً على شعبِه، اعتقادٌ مفاده أنَّ شعبَ الله **ينبغي** أن يسمعَ كلامَ الله **ويحتاج** إلى ذلك، لئلَّا تفقدَ الرعيَّةُ ما قصدَ الله منه ليشكِّلَنا بحسبِ صورته. ويفترضُ أيضًا أنَّ الله شاء أن تتعلَّمَ الكنيسةُ من كِلا العهدَين، ومن كلِّ نوعٍ أدبيٍّ في الكتابِ المقدَّس؛ كالنصوص التشريعيَّة والتاريخيَّة والحِكميَّة والنبويَّة والأناجيل والرسائل. أُومنُ بأنَّ الواعظَ التفسيريَّ الذي يتعاقبُ على الوعظِ من العهدَين والأنواع الأدبيَّة الكتابيَّة المختلفة، هو كالأُمِّ التي تُعِدُّ الطعام لأولادها من مختلفِ الأصناف، ليس فقط وجباتِهم المفضَّلة فحسب.

هذا وإنَّ سُلطة الواعظ التفسيريِّ تبدأ وتنهي عند الكتابِ المقدَّس؛ فكما أنَّ أنبياء العهد القديم ورُسُل العهد الجديد لَم يُرسَلوا ليتكلَّموا فقط، بل ليتكلَّموا برسالةٍ مُحدَّدة، هكذا أُعطيت للوعَّاظ المسيحيِّين اليوم السُّلطةُ ليتكلَّموا من الله ما داموا يتكلَّمون من كلمته هو.

قد يعترف أحدهُم بفخرٍ بسُلطةِ كلمة الله وبعصمة الكتابِ المُقدَّس، إلَّا أنَّه إنْ لم يعِظْ تفسيريًّا في ممارسته العمليَّة للوعظ، فهو يُنكِر ما اعترفَ به، سواء قصدَ ذلك أم لم يقصده.

قد يختلط على بعضنا الفرق ما بين الوعظ التفسيريِّ وأُسلوب

أحد الوعَّاظ التفسيريِّين الذين يستمعون له؛ فمسألةُ الوعظِ التفسيريِّ ليست في جوهرها مسألةَ أسلوب، بل كما لاحَظَ آخرون، لا يتعلَّقُ الوعظُ التفسيريُّ كثيرًا بكيفيَّةِ **قول الواعظ ما يقوله**، بل بكيفيَّةِ **عزمِ أمره على قول ما يقوله**. هل الكتابُ المقدَّس هو ما يُحدِّدُ فحوى القول أم يُحدِّده شيءٌ آخر؟ لا يتميَّزُ الوعظُ التفسيريُّ بشكلٍ أو أُسلوبٍ مُعيَّن، بل يتميَّزُ بالمحتوى الكتابيّ، وإنْ تعدَّدت الأساليب.

وقد يختلط على بعضنا الفرقُ ما بين الوعظ التفسيريِّ وقراءة آيةٍ من الكتاب المقدَّس ثمَّ إلقاء عظة مرتبطةٍ بها بصورةٍ أو بأُخرى. حينما يعظُ متكلِّمٌ رعيَّته بموضوعٍ من اختياره مُستخدمًا نصوصًا كتابيَّة لغَرَضِ دعمِ أفكاره، فهو لن يَعِظَ أكثر ممَّا يدور في باله، ولن تتعلَّم الرعيَّة أكثر من ذلك أيضًا.

يتطلَّب الوعظ التفسيريُّ في الحقيقة أكثر من ذلك؛ فهو يتطلَّبُ انتباهًا شديدًا إلى سياق النصِّ، إذ إنَّه يهدفُ إلى جعل فكرة نصِّ الكتاب المقدَّس فكرةَ العِظَةِ ذاتها. فحينما يعظُ المتكلِّمُ رعيَّته بوعظِ نصٍّ من الكتاب المقدَّس في سياقه- حيث فكرة النصِّ هي فكرة العِظَة- فإنَّه والرعيَّة سيسمعان من الله ما لَم يقصِدِ الواعظُ التكلُّم عنه لمَّا جلسَ بدايةً ليُعدَّ العِظَة، وكأنَّه يقولُ: "سننظُرُ الأسبوع المقبل إلى الأصحاح الأوَّل من إنجيل لوقا، وسننظر في الأسبوع الذي يليه إلى الأصحاح الثاني منه، وإلى ما سيعطينا الله من ذلك الأصحاح. أمَّا الأسبوع الذي يلي ذلك..."".

لطالما خلقَتْ كلمة الله شعبَ الله؛ من الخليقة في تكوين ١ إلى دعوة إبراهيم في تكوين ١٢، ومن رؤيا وادي العظام في حزقيال ٣٧ إلى

مجيء الكلمةِ الحيِّ، يسوع المسيح، كان الله دومًا يخلقُ شعبه بكلمته. ويتوافقُ هذا مع ما قاله بولس لأهلِ رومية: "إذًا الإيمانُ بالخَبر، والخَبرُ بكلِمة الله" (رومية ١٠: ١٧)، أو ما قاله لأهل كورنثوس: "لأنَّه إذ كانَ العالَم في حِكمَةِ الله لَمْ يَعرِفِ اللهَ بالحِكمَة، استَحسَنَ الله أنْ يُخَلِّصَ المؤمنينَ بجَهالةِ الكِرازَة" (١كورنثوس ١: ٢١).

الوعظ التفسيريُّ السليمُ هو إلى حدٍّ ما منبع النموِّ الحقيقيِّ لكلِّ كنيسةٍ. وكما وجدَ مارتن لوثر التعاملَ المباشرَ مع كلمةِ الله هو بداية للإصلاح، علينا نحنُ أيضًا التمسُّك بمشاهدة إصلاح كلمة الله لكنائسنا.

ذكَرْتُ مرَّةً في ندوة أقمتُها مدَّة يوم كاملٍ في لندن عن مذهب التطهُّريِّين (Puritanism) أنَّ عِظات التطهُّريِّين كانت تمتدُّ أحيانًا مدَّةَ ساعتين. حينها شَهَقَ أحد الحضور بصوتٍ مسموعٍ وسأل قائلًا: "كم من الوقت بقي لترانيم العبادة؟" من الواضح أنَّه افترضَ الاستماعَ إلى الوعظِ من كلمةِ الله لم يشمل العبادة، فأجبتُه أنَّ الكثيرَ من البروتستانت الإنكليز من القرون الماضية كانوا يؤمنون بأنَّ العنصر الأساسيَّ في عبادتهم كان **سماع** كلمة الله بلُغتهم (حُرِّيَّةٌ اشترتها دماءُ أكثر من شهيدٍ) و**التجاوب** معها في حياتهم. أمَّا تخصيص الوقت للترنيم، فَلَم يضاهِ أهمِّيَّة ذلك، لكن دون تجاهُله أيضًا.

وعلى كنائسنا أيضًا استرداد مركزيَّة الكلمة في عبادتنا. ومع أنَّ الموسيقا تُشكِّل استجابةً مطلوبة كتابيًّا لكلمة الله، فإنَّ هذه الموسيقا التي وهبها الله لنا لم يهبها لكي نبني عليها كنائسنا. الكنيسةُ المبنيَّةُ على الموسيقا، مهما كان أُسلوبها، هي كنيسةٌ مبنيَّةٌ على رمالٍ متحرِّكة.

أيُّها المسيحيُّ، صلِّ من أجل راعي كنيستك، ليُكرِّس نفسه لدراسةِ الكلمةِ بحزمٍ وحرصٍ وإصرار. صلِّ لكي يُرشده الله لفَهمِ الكلمة، والعيش بها في حياته الشخصيَّة، وتطبيقها على حياة الكنيسة (راجع لوقا ٢٤: ٢٧؛ أعمال ٦: ٤؛ أفسس ٦: ١٩-٢٠). وامنحه الوقتَ الكافي في بحر الأسبوع لتحضير عظاتٍ جيِّدة؛ فالوعظُ هو المكوِّن الجوهريُّ للرعاية. ثمَّ قُل له كلماتٍ مُشجِّعةً بمصارحته بمقدار ما نموتَ في نعمة الله بسبب أمانته تُجاه الكلمة.

يا أيُّها الراعي، صلِّ هذه الأمور لأجل نفسك، وصلِّ أيضًا لكنائسَ أُخرى تُعلِّم وتعظُ بكلمة الله في حيِّك ومدينتك ومنطقتك. وأخيرًا، صلِّ لتُكرِّسَ الكنائسُ نفسها لسماع كلمة الله بالوعظ التفسيريِّ منها، ليتشكَّل فكرُ الكنيسة أكثر فأكثر بفكر الله في الكتابِ المقدَّس؛ فالتزامُ الوعظِ التفسيريِّ هو علامةٌ جوهريَّةٌ تميِّزُ الكنيسةَ السليمة.

الفصل ٦

علامة جوهريَّة تُميِّز الكنيسة السليمة: اللاهوتُ الكتابيُّ

ماذا تعني الكلمات الغامقة في الآية التالية برأيك؟ "ولكن نَعلَمُ أنَّهُ إذا أُظهِرَ **نَكونُ مِثله**، لأنَّنا سنَراهُ كما هو" (١يوحنَّا ٣: ٢).

إنْ قرأتَ السردَ الكتابيَّ في الأصحاح الثالث، ستجدُ أنَّ هذه الكلماتِ تُشيرُ إلى الكيفيَّة التي ستعكسُ فيها الكنيسة في نهاية الزمان صفاتِ الله المحِبَّة والمقدَّسة بصورةٍ نقيَّة بعيدةٍ عن تشويه الخطيَّة.

لكنَّك إنْ جلستَ في لقاءٍ لطائفة المورمون مثلًا، ستسمعُ أنَّ هذه الكلمات "نكونُ مِثله" تعني أنَّنا سنَصيرُ آلهة!

ما الفرق بين هذين التفسيرَين؟ أحدُهما مسنودٌ بعلم لاهوت الكتاب المقدَّس بأكمله، أمَّا الآخر فليس كذلك.

ذكرنا في الفصل السابق الأهمِّيَّةَ الجوهريَّةَ للوعظ التفسيريِّ في الكنيسة السليمة، إلَّا أنَّ كلَّ طريقةٍ مهما كانت جيِّدة تبقى عُرضةً لسوء الاستخدام. على كنائسنا أن تهتمَّ ليس فقط بمجرَّد **كيفيَّة** تعلُّمنا، بل أيضًا **بما** نتعلَّمه؛ لهذا فإنَّ العلامةَ الجوهريَّة الثانية المميِّزة للكنيسة السليمة

هي علمُ لاهوتٍ كتابيٍّ صحيحٍ، أو لاهوتٌ كتابيٌّ، وإلَّا فسَّرنا الأعدادَ الكتابيَّة بمعانٍ نختارُها وننتقيها مهما كانت.

قَد تكون كلمة "صحيح" كلمةً شائعةً ومبتذلةً، لكنَّنا يجبُ أن نُقدِّر ما هو صحيح، وفوقَ كلِّ شيءٍ الفهم الصحيح لإله الكتاب المقدَّس وطُرُقه في التعامل معنا. ويستخدم بولس صفة "صحيح" عددًا من المرَّات في رسائله الرعويَّة لتيموثاوس وتيطس، ومعناها يشمل "الموثوقيَّة" أو "الدقَّة" أو "الأمانة"، وفي أصلها هي مصطلحٌ طبِّيٌّ يصوِّرُ حالةَ العافية الكاملة والصحَّة. إذًا فاللاهوتُ الكتابيُّ الصحيحُ هو اللاهوت الأمينُ لتعاليم الكتاب المقدَّس كلِّه، ويفسِّرُ الجُزءَ بموثوقيَّة ودقَّة بالتوافق مع كامل الكتاب.

قال بولس الرسول في رسالته الأولى إلى تيموثاوس أنَّ "التَّعليمَ **الصَّحيحَ**" هو تعليمٌ "حَسَبَ إنجيلِ مَجدِ الله المبارك" يقاومُ الفجورَ والخطيَّة (١تيموثاوس ١: ١٠-١١). وبعد هذا تأتي مقارنة "التعليم الكاذب" بالتعليم الذي يوافقُ كلماتِ ربِّنا يسوع المسيح و"**التَّعليمَ** الذي هو حَسَبَ التَّقوَى" (١تيموثاوس ٦: ٣).

وفي رسالة بولس الثانية إلى تيموثاوس حثَّه بولس قائلًا: "تمَسَّكْ بصورَةِ الكلامِ **الصَّحيحِ** الذي سمِعتَه منِّي، في الإيمانِ والمحبَّةِ التي في المسيحِ يَسوعَ" (٢تيموثاوس ١: ١٣)، ثمَّ يُحذِّرُ تيموثاوسَ قائلًا: "لأنَّه سيكونُ وقتٌ لا يَحتَمِلونَ فيه التَّعليمَ **الصَّحيحَ**، بل حَسَبَ شَهَواتِهِمُ الخاصَّةِ يَجمَعونَ لهُمْ مُعَلِّمينَ مُستَحِكَّةً مَسامِعُهُم" (٢تيموثاوس ٤: ٣).

وفي مُخاطبة بولس لراعٍ يافعٍ آخر اسمُه تيطُس، يكشُفُ مجدَّدًا

عن تلك الأمور ذاتها التي شغلت باله؛ إذ أوصى تيطسَ أنَّ كلَّ رجُلٍ يُعيِّنه بصفةِ شيخٍ لكنيسةٍ ما يجب أن يكون "مُلازِمًا للكلِمَةِ الصَّادِقةِ التي بحَسَبِ التَّعليم، لكَي يكونَ قادرًا أن يَعِظَ بالتَّعليمِ **الصَّحيح** ويوبِّخَ المناقِضين" (تيطس ١: ٩)، حتَّى إنَّ المعلِّمين الكذبة يجب أن يُوبَّخوا "لكَيْ يكونوا **أصِحَّاءَ** في الإيمان" (تيطس ١: ١٣). ونهايةً يُلزمُ بولسُ تيطُسَ بهذا: "وأمَّا أنتَ فتكلَّمْ بما يَليقُ بالتَّعليمِ **الصَّحيح**" (تيطس ٢: ١).

يجب على الرعاة توجيهُ الكنيسة بالعقيدة والتعليم الصحيح، الذي يتَّسمُ بالموثوقيَّة والدقَّة والأمانة للكتاب المقدَّس، وعلى الكنائس في الوقت ذاته الإبقاء على رعاتهم تحت المساءلة في ما يختصُّ بالتعليم الصحيح.

لا يسعُنا الخوض في أركان التعليم الصحيح هنا؛ إذ إنَّ ذلك يتطلَّبُ فحصَ الكتابِ المقدَّس كلِّه. لكنْ من الناحية العمليَّة، على كلِّ كنيسةٍ أن تُقرِّر التعاليمَ التي تستوجِبُ الاتِّفاقَ التامَّ عليها، وتلك التي تسمحُ باختلافٍ محدودٍ عليها، والعقائد التي تُعطى فيها الحرِّيَّة الكاملة.

على الأعضاء في الكنيسة التي أخدُم فيها في واشنطن دي. سي. أن يؤمنوا بالخلاص بواسطة عمل المسيح يسوع وحده. كما أنَّنا نُقرُّ بفهمٍ موحَّدٍ (أو متشابهٍ كثيرًا) لمعموديَّة المؤمن والترتيب الكنسيِّ (أي من له الكلمة الفصلُ في اتِّخاذ القرار). ليس الاتِّفاقُ على المعموديَّة والترتيب الكنسيِّ أمرًا أساسيًّا للخلاص، غير أنَّهما يُساعدان الحياة العمليَّة للكنيسة ويُبقيانها سليمة.

وتسمحُ كنيستُنا من الجهة الأُخرى ببعضِ الخلافِ حول الأمور غير الجوهريَّة للخلاص والحياة العمليَّة للكنيسة؛ إذ يتَّفقُ جميعُنا على

حقيقة عودة المسيح إلى الأرض، لكنَّ الآراءَ عديدةٌ في ما يتعلَّقُ بتوقيت عودته هذه.

وفي نهاية الأمر تسمح كنيستنا بالحرِّيَّة الكاملة من جهةِ أمورٍ مُبهَمة وثانويَّة، مثل مسألة الرأي السياسيِّ وهُوِيَّة كاتب رسالة العبرانيِّين.

والمبدأ الذي يجري في صُلبِ هذا كلِّه هو أنَّنا كلَّما اقتربنا أكثر إلى مركَز الإيمان، توقَّعنا وَحدةً أكثر في فهمنا للإيمان، وفي التعاليم الكتابيَّة الصحيحة. وبكلمات الكنيسة الأولى: وَحدةٌ في المسائل الجوهريَّة، وتنوُّعٌ في المسائل الثانويَّة، ومحبَّةٌ في كلِّ شيء.

لا بدَّ أن تُعلِّم الكنيسة الملتزمةُ التعليمَ الصحيح تعاليمَ كتابيَّةً تتجاهلها الكثير من الكنائس؛ إذ تبدو بعض التعاليم من منظور بعضنا صعبةً، بل سببًا مُباشرًا في الانشقاقات، لكن يُمكنُنا الوثوق بالله الذي أدرجَها في كلمته لكَونها أساسيَّة لفهمِ عمله الخلاصيّ.

لا يُمكنُنا التحايُل على الروح القدس؛ فإنْ أعلنَ عن أمرٍ في كتابِهِ ليقرأه العالم أجمع، فعلى الكنائس ألَّا ترتأي بنفسها وتدَّعي أنَّ من الحكمة التغاضي عن الحديث ببعض المواضيع الكتابيَّة. لكن، أيُمكنها مُمارسة نوعٍ من الحكمة والعناية الرعويَّين في التحدُّث بهذه المواضيع؟ بالتأكيد. أيُمكنها التغاضي عن هذه المواضيع تمامًا؟ بالتأكيد لا. إنْ أرَدْنا كنائسَ يقتادُها التعليم الكتابيُّ الصحيحُ، فعلينا أن نتعاملَ مع الكتاب المقدَّس كلِّه.

يتغاضى بعضُنا في أحيانٍ كثيرة عن عقيدة الاختيار بوصفها كثيرةَ التعقيد والتشويش، لكنْ مهما كان الأمر، فهذه عقيدةٌ كتابيَّة بلا شكّ.

ومع أنَّنا قد لا نستوعبُ هذه العقيدة كُلِّيًّا، فيبقى الأمرُ مهمًّا ما إذا كان الخلاصُ يأتي من الله أو من ذواتنا.

هناك عددٌ من التساؤلات التي يُجيب عنها الكتابُ المقدَّسُ، لكنَّ الكنائس غالبًا ما تتجاهلها، ومنها:

- هل البشرُ أخيار بطبيعتهم أم أشرار؟ هل يحتاجون إلى مجرَّد التشجيع والتحفيز، أم يحتاجون إلى الغفران والحياة الجديدة؟
- ماذا يحصل حينما يصيرُ أحَدُهم مؤمنًا بالمسيح؟
- إنْ كنَّا مؤمنين بالمسيح، فهل يُمكن أن نتحقَّقَ من أنَّ الله سيستمرُّ في الاعتناء بنا؟ وإنْ كانت هذه الحال، هل تعتمد عنايته المستمرَّة على أمانتنا، أم على أمانته هو؟

تختصُّ هذه الأسئلة ليس فقط باللاهوتيِّين الأكاديميِّين وطُلَّاب علم اللاهوت الجُدد، بل بكلِّ مؤمنٍ بالمسيح. والرُّعاةُ منَّا يعلمون يقينًا مقدارَ التغيير الذي سيطرأ على طريقةِ رعايتنا إنِ اختلفَتْ إجابتنا عن أيٍّ من الأسئلة السابقة. تستَدعي منَّا الأمانةُ نحو الكتاب المقدَّس التحدُّث بهذه الأمور بوضوحٍ وسُلطة، بالتوافق مع مقدار رغبتنا في إبراز شخصيَّة الله بكلِّ مِلئِها.

فكِّر في هذا مليًّا: إنْ كنَّا نُريد لكنائسنا أن تعكسَ سِمات الله، أفلا نُريد أن نعرفَ كلَّ ما كشفَه عن نفسه في الكتاب المقدَّس؟ وإنْ لم نُرِد هذا، فماذا يُخبرنا ذلك بشأن رأينا في شخصيَّة الله وسماته؟

إنَّ مسألةَ فَهمِنا لتعاليم الكتاب المقدَّس عن الله مسألةٌ غايةٌ في الأهمِّيَّة. فمع أنَّ الله في الكتابِ المقدَّس هو الخالقُ السيِّد، فإنَّ سيادتَه تُنكَرُ أحيانًا، حتَّى في الكنيسة؛ فالمسيحيُّون الذين يُقرُّون بمسيحيَّتهم عندما يُقاومُون فكرةَ سيادة الله وربوبيَّته على الخليقة والخلاص، يلعبون بلهيب نارِ الوثنيَّة المحضة. من الطبيعيِّ أن تكونَ لأحد المؤمنين بالمسيح تساؤلاتٌ صادقةٌ حول ربوبيَّة الله، لكنَّ إنكارًا مُتواصلًا وعنيدًا لها ينبغي أن يُقلقنا. إنْ عمَّدنا شخصًا كهذا، فإنَّنا نُعمِّدُ بصورةٍ ما قلبًا ما زال في عدم إيمانه، وإنْ أعطينا العضويَّة في الكنيسة لشخصٍ كهذا، فإنَّنا نحسبُ أنَّه يثق بالله في حين أنَّه لا يفعل ذلك بالحقيقة.

فمُقاومةٌ كهذه هي خَطِرةٌ بوجودها لدى أيٍّ من المؤمنين بالمسيح، إنَّما أكثر خطورة إنْ كانت لدى قائدِ رعيَّةٍ ما؛ فبتَعيينِ كنيسةٍ ما قائدًا لديه شكوكٌ حول سيادة الله، أو يُسيءُ فَهمَ تعاليم الكتاب المقدَّس، تضع هذه الكنيسة مثالًا لها هو إنسانٌ لا يُريدُ في أعماقه الوثوق بالله، وهذا أمرٌ يرتبطُ ارتباطًا وثيقًا بنموِّ الكنيسة، لذا سيُعوِّق هذا النموّ.

تسرَّبت العقليَّةُ المادِّيَّة ذات الميول الاستهلاكيَّة كثيرًا هذه الأيَّام في فَهمِ الكنيسة لعمل الروح القُدس، فصارت الكنيسة تنظُرُ إليه وكأنَّه تسويقٌ من نوعٍ ما، فتغدو الكرازةُ كأنَّها دعايةٌ وإعلان، وبهذا يَصيرُ الله هو المصنوع على صورة الإنسان وشبهه. وتتطلَّب هذه الأوقات من الكنيسة السليمة الحذرَ والصلاةَ ليكونَ لقادتِها الإدراك الكتابيُّ والاختباريُّ لسيادة الله. كما ينبغي أن يُصلُّوا لأجل قادتِهم أن يلتزموا راسخين في التعليم الصحيح بأمجاده الكتابيَّة الكاملة. وهكذا فإنَّ الكنيسة السليمة تمتازُ بالوعظ التفسيريِّ واللاهوت الكتابيّ.

الفصل ٧

علامة جوهريَّة تُميِّز الكنيسة السليمة: فهمٌ كتابيٌّ لبشارة الإنجيل

تكمُن أهميَّة تمسُّك الكنيسة باللاهوت الكتابيِّ الصحيح في موضوعٍ واحدٍ أكثر من غيره، وهو فَهمُنا للأخبار السارَّة بيسوع المسيح؛ أي الإنجيل. الإنجيلُ هو قلبُ المسيحيَّة، ويجب كذلك أن يكونَ أيضًا القلبَ لكنائسنا جميعِها.

يتَّحدُ جميعُ الأعضاء في الكنيسة السليمة، من صغارٍ وكبار، ناضجين كانوا أم في طريقهم إلى النُّضج، حول الأخبار السارَّة والمجيدة بالخلاص بيسوع المسيح. كما يُشيرُ أيضًا كلُّ نصٍّ كتابيٍّ إلى هذه الأخبار أو إلى ناحيةٍ منها، ممَّا يجعل من اجتماع الكنيسة أسبوعًا تلو آخر يتمحوَرُ حول سماع بشارة الإنجيل تُعلَنُ جهارًا من جديد؛ حيث ينبغي للفهمِ الكتابيِّ لبشارةِ الإنجيل أن يصيغَ كلَّ عِظَةٍ وكلَّ معموديَّةٍ وكسرِ خُبزٍ، وكلَّ ترنيمةٍ وكلَّ صلاةٍ، وكلَّ نقاش. أعضاءُ الكنيسةِ السليمةِ هُم مَن يُصلُّون ويتوقون إلى معرفةِ هذه البشارة بعمقٍ، أكثر من أيِّ شيءٍ آخر في حياة الكنيسة.

لماذا؟ لأنَّ رجاء بشارةِ الإنجيل هو الرجاءُ بمعرفةِ مجد الله في وجه

يسوع المسيح (٢كورنثوس ٤: ٤-٦)، رجاء رؤيته بكلِّ وضوحٍ ومعرفته أتمَّ المعرفةِ، كما عُرِفنا نحنُ (١كورنثوس ١٣: ٨)، ورجاء أن نكون مثله عندما سنَراهُ كما هو (١يوحنَّا ٣: ٢).

ليس الإنجيلُ أخبارًا عن أنَّنا على ما يُرام، ولا بأنَّ الله محبَّة. وليس الإنجيلُ ببساطةٍ أنَّ يسوع يُريدُ أن يكونَ صديقَنا، ولا أنَّ لدى الله خُطَّةً أو قصدًا مجيدَين لحياتنا. بل كما سبقَ أن ناقشت مطوَّلًا في الفصل الأوَّل، الإنجيلُ هو أخبارٌ سارَّةٌ أنَّ يسوع المسيح مات مصلوبًا كذبيحةٍ بدليَّة عن الخُطاةِ، وقام من الموت، فاتحًا الطريق لنا لنتصالحَ مع الله. الإنجيلُ أخبارٌ أنَّ القاضيَ صارَ أبًا، إذا ما تُبنا وآمنَّا (عُد إلى الفصل الأوَّل لتجدَ شرحًا موسَّعًا بهذا الشأن).

إليكُم أربعَ نقاطٍ أُحاول تذكُّرها بينما أُشارك الإنجيل، سواء كان ذلك أمام جمعٍ أم فرديًّا: (١) الله، (٢) والإنسان، (٣) والمسيح، (٤) والاستجابة. وبعباراتٍ أخرى:

- هل شرحتُ أنَّ الله هو خالقنا القدُّوسُ المتَسيِّد؟
- هل أوضحتُ أنَّنا، نحن البشرَ، خليطٌ غريبٌ، وأنَّنا مخلوقون على صورة الله بإبداعٍ وروعة، وخطاةٌ ساقطون منفصلون عنه؟
- هل بيَّنتُ مَن هو يسوع المسيح وما العمل الذي قام به: أنَّه الإله المتجسِّد الواقف بين الله والإنسان الوسيط الوحيد بكفَّارته البدليَّة وقيامته المجيدة؟
- وأخيرًا، ولو شاركتُ هذا كلَّه، هل أوضحتُ أنَّ الإنسانَ

يجبُ أن يتجاوبَ مع البشارةِ ويجبُ أن يُؤمن بهذه الرسالة، ومن ثمَّ يرجعُ عن حياة الخطيَّة والأنانيَّة؟

قد يُغرينا أحيانًا تقديمِ شيءٍ من نواتج البشارة **على أنَّها** بشارة الإنجيل ذاتها، حيث تكون هذه النواتج مرغوبةً من غير المؤمنين بالمسيح، كالفرح أو السلام أو تحقيق الذات وتقديرها أو السعادة أو المحبَّة. إنَّما تقديمُ هذه على أنَّها بشارةُ الإنجيل هو جزءٌ من الحقِّ فقط. وكما قال جاي. آي. باكر (J. I. Packer): "نِصفُ الحقِّ المتنكِّر في لباس الحقِّ الكامل هو كذبٌ مُباشر".[٣]

فنحنُ لا نحتاجُ جوهريًّا إلى مُجرَّد الفرح أو السلام أو المعنى، بل نحتاجُ إلى الله نفسه. فحاجَتُنا، بوصفنا خُطاةً مُدانين، هي إلى غُفران الله فوقَ كلِّ شيءٍ آخر- نحتاجُ إلى الحياة الروحيَّة. وهكذا، حينما نُقدِّم رسالةَ الإنجيل من مستوى أدنى من هذا، فكأنَّنا نبحثُ عن اهتداءٍ باطلٍ إلى الحقِّ وأعدادٍ لا معنى لها من العضويَّات في الكنيسة. وهذان كلاهما يجعلان الكرازة للعالم من حولنا أصعب فأصعب.

حينما تكونُ كنيسةٌ ما سليمة، ويعرف أعضاؤها بشارةَ الإنجيل ويحبُّونها أكثر من أيِّ شيٍ آخر، فسيرغبون أكثر فأكثر في مشاركةِ هذه الأخبار مع العالم أجمع. قال جورج دبليو. ترويت (George W. Truett)، وهو قائدٌ مسيحيٌّ عظيمٌ للجيل الماضي، وراعي الكنيسة المعمدانيَّة الأولى في دالاس، تكساس:

3) Quoted in John Owen, "Introduction," in The Death of Death in the Death of Christ (Edinburgh: Banner of Truth, 1959, rprt. 1983), 2.

"أكبر تُهمةٍ يُمكن توجيهُها إلى كنيسةٍ ما...هي عِوَزُ تلك الكنيسةِ إلى الشغف نحو الآخرين والشفقة عليهم. إنْ لم تَفِضْ أيَّةُ كنيسةٍ بالحنانِ نحو الضالِّين، فهي ليست أفضل من مُجرَّدِ نادٍ اجتماعيٍّ للأخلاق، وهذه هي حالها أيضًا إنْ لم تسعَ إلى توجيه الضالِّين إلى معرفة يسوع المسيح".[4]

في يومٍ كهذا، يُمضي أعضاءُ الكنيسة مُعظم وقتهم مع غير المؤمنين بالمسيح في بيوتهم ومكاتبهم وحاراتِهِم، أكثر جدًّا من الوقت الذي يُمضونه مع المؤمنين الآخرين أيَّام الأحد. ليست الكرازةُ بالبشارة السارَّة للآخرين مجرَّد دعوةِ أحدِهِم إلى الكنيسة، فلدى كلٍّ منَّا هذا الخبر العظيم عن الخلاص بالمسيح، لذا علينا ألَّا نقايضَ به أيَّ شيءٍ آخرَ، وعلينا أن نُشاركَه اليومَ مع أحدهِم!

الكنيسةُ السليمةُ تعرفُ بشارة الإنجيل وتُشاركها.

نصائحُ سريعة:
كيفيَّة العثور على كنيسة جيِّدة

١. صلِّ.

٢. اطلب مشورةَ راعٍ تقيٍّ أو شيخ كنيسةٍ تقيّ.

٣. لا تتنازل عن الأولويَّات.

- يجب أن تجدَ تأكيدًا حقًّا على بشارة الإنجيل،

4) George W. Truett, A Quest for Souls (New York: Harper & Brothers, 1917), 67.

ووعظًا واضحًا لها، وعيشًا صادقًا بحسبها. أيُّ تقصيرٍ جادٍّ في أيٍّ من هذه هو أمرٌ خَطِرٌ جدًّا.

- يجبُ أن يكون الوعظُ أمينًا للكتاب المقدَّس، ومركزيًّا لحياة الرعيَّة، ويتحدَّى حياةَ الفرد الشخصيَّة. اعلم أنَّك لن تنموَ روحيًّا ما لم يُعامَل الكتابُ المقدَّس بوصفه السلطة الأعلى.
- من المهمِّ أن تضعَ في الحسبان كيفيَّةَ تنظيم الكنيسة للمعموديَّة وعشاء الربِّ وعضويَّة الكنيسة والتأديب الكنسيِّ ومن له الكلمة الفصلُ في اتِّخاذ القرار.

٤. اطرَحْ على نفسك أسئلةً تشخيصيَّة، مثل:

- هل سأرغب في الارتباطِ بأحدٍ تربَّى على تعليم هذه الكنيسة؟
- ما الصورة التي تُمثِّل المسيحيَّة التي سيراها أولادي في هذه الكنيسة: أهي مميَّزة أم تُشبه العالم؟
- هل سأرغب في دعوة غير المؤمنين إلى هذه الكنيسة؟ أي هل سيسمعون البشارة بوضوحٍ فيها ويرون حياة الأفراد تتوافق مع بشارة الإنجيل؟ وهل يميل قلبُ هذه الكنيسةِ نحو الترحيب في غير المؤمنين والتواصل معهم؟
- هل يُمكنُني أن أخدم الآخرين في هذه الكنيسة؟

٥. ضعِ المسافات في الحسبان. هل سيُشجِّع بُعدُ مبنى

الكنيسة على انخراطك المستمرِّ وخدمتك أم سَيُحبطها؟ وإنْ كُنتَ في صدد تغيير مكان سكنك، حاول أوَّلًا العثور على كنيسةٍ تنتمي إليها قبل شرائك لبيتٍ.

الجزء الثالث

علامات مهمَّة
تُميِّز الكنيسة السليمة

علامات مهمَّة
تميِّز الكنيسة السليمة

علاوة على الجانب الكتابيِّ للعلامات التسع المدرَجة في هذا الكتاب، فإنَّها أيضًا ذات سُلطةٍ على حياةِ كنائس المسيح، لكنَّ التفريق ما بين العلامات **الجوهريَّة** والعلامات **المهمَّة** ينبغي أن يُذكِّرنا أنَّ التقديس، سواء كان في حياة الكنيسة أم في حياة الفرد، يحصُل بالتدريج؛ فمثلما يدعونا الله إلى الصبرِ في تربية أطفالنا، فهو يدعونا إلى الصبرِ تجاه كنائسنا.

العلامات التي أُطلِقُ عليها علامات **مهمَّة** هي حقًّا كذلك، على الأقلِّ إذا تفحَّصناها كلَّ واحدةٍ على حِدة، إنَّما غيابها لا يستلزمُ تَركَ كنيسةٍ ما (إنَّما قد يكون ذلك عملًا حكيمًا في بعض الحالات). ويُمكن أن تكونَ الكنائسُ التي تفتقر إلى هذه العلامات المهمَّة موضعَ تضرُّعاتنا وصبرنا وفرصةً لتكون حياتُنا مثالًا يُحتذى به.

إذا سألني راعي كنيسةٍ عن مقدار الوقت الذي ينبغي فيه له أن يحتمل ترتيبًا غير كتابيٍّ للقيادة في الكنيسة التي يخدمُ فيها؛ أو إذا سألتني أُختٌ عن الوقت الذي ينبغي لها فيه أن تتغاضى عن فشل كنيسةٍ ما في تطبيق التأديبِ الكنسيّ، أو إذا سألني شمَّاسٌ عن الوقت ينبغي له فيه أن يُطيق أخطاءً فادحةً في مُمارسة الأعضاء لأدوارِهِم، فسأُجيب هؤلاء

القدِّيسين إجابتي المعتادة: أن أحثَّهم على الصبر والصلاة والانتظار وإبداء المحبَّة وإظهار مثال يُحتذى به؛ فالنموُّ يحصُلُ بالتدريج، والكنيسةُ جماعةٌ من الناس- أُناسٍ دُعِينا لنُسامحهم ونُشجِّعهم ونخدمهم، ولنتحدَّاهم بحكمةٍ ووداعة، وفوق الكلّ: أن نُحبَّهم.

وكما أنَّه ليس هناك مؤمنٌ كاملٌ في هذه الحياة، كذلك ليست هناك كنيسةٌ كاملةٌ أيضًا، بل حتَّى أفضل الكنائس تبقى بعيدةً جدًّا عمَّا هو مثاليّ. فلا الإدارة الكنسيَّة الصحيحة ولا الوعظُ، ولا العطاءُ المضَحِّي ولا العقيدة القويمة يُمكِنُهم ضمانُ نموِّ الكنيسة وازدهارها. غير أنَّه يمكنُ أن تغدوَ أيَّةُ كنيسةٍ أكثرَ صحَّةً وسلامةً عمَّا هي عليه في الوقت الحاضر؛ فهذه الحياة لن تحملَ لنا انتصارًا نهائيًّا على الخطيَّة، لكنَّنا، بوصفنا أولادَ الله، لن نستسلمَ في هذا الصراع، وعلى الكنائس أيضًا ألَّا تستسلمَ فيه. وهكذا ينبغي لكلِّ مؤمنٍ بالمسيح، ولا سيَّما الرعاةِ وقادةِ الكنيسة، أن يتوقَ ويعملَ ليشهدَ كنائسَ سليمةً دومًا.

الفصل ٨

علامات مهمَّة تُميِّز الكنيسة السليمة: فهمٌ كتابيٌّ للاهتداء

تبنَّت كنيستي في لقائها الأوَّل عام ١٨٧٨م بَيانَ إيمانٍ يعدُّ نسخةً مُقوَّاةً من بيان إيمان نيوهامشر (New Hampshire Confession of Faith). وينصُّ البندُ الثامن من البيان على ما يلي:

> "نؤمنُ بأنَّ التوبة والإيمان هُما واجبانِ مقدَّسان، ونعمتان لا تنفصلان، يصنعهُما روح الله المجدِّدُ في نفوسنا؛ وبواسطتهما مع يقينٍ عميقٍ بذنبنا وعجزنا والخطر المُحدق بنا وبِطريق الخلاص بالمسيح، نلتفُّ إلى الله بانسحاقٍ صادقٍ واعترافٍ وتضرُّعٍ للرحمة؛ وفي الوقت نفسه نقبلُ الربَّ يسوع المسيح قلبيًّا بوصفه نبيَّنا وكاهننا وملكنا، متَّكلين عليه وحده بوصفه المخلِّص الوحيد والكافي".

قد تبدو كلماتُ هذا البيان فصيحة وغير مستخدمةٍ كثيرًا هذه الأيَّام، غير أنَّ الحقَّ الكتابيَّ المذكور فيها يظلُّ ثابتًا لا يتغيَّر، وتبقى الكنيسةُ

السليمةُ تتميَّزُ بعلامةِ فهمٍ كتابيٍّ للاهتداء.

يبدأُ البيانُ بدعوةٍ كتابيَّةٍ للتوبةِ والإيمان، كما نادى يسوع في بداية خدمته قائلًا: "توبوا وآمِنوا بالإنجيلِ" (مرقس ١: ١٥). وبأبسطِ تعبيرٍ يُمكنُني أن أقولَ إنَّ الاهتداء يساوي التوبة والإيمان.

ويستمرُّ البيانُ موضِّحًا ما تبدو عليه التوبةُ والإيمان إذ يُصرِّح بأنَّنا "نلتفُّ" إلى الله بعيدًا عن خطايانا، و"نقبلُ" المسيح، و"نتَّكلُ" عليه وحده بوصفه المخلِّصَ الكافي وحده. العهدُ الجديدُ نفسهُ حافلٌ بمشاهِدِ خُطاةٍ تركوا خطاياهم وقبلوا المسيح متَّكلين عليه. تذكَّروا لاوي العشَّار الذي ترك تجارته وتَبِعَ المسيح (وصار بعدها البشيرَ متَّى)، والمرأةُ السامريَّة قُرب البئر، والضابطُ الرومانيُّ قائدُ المئة، وبطرس ويعقوب ويوحنَّا، وشاول مُضطهد المسيحيِّين الذي صار بولس رسول الأُمم، وتطولُ اللائحةُ بأسماءِ مَن التفَّوا نحو الله ووثقوا به وتَبِعوه- هذا هو الاهتداءُ.

ليس الاهتداءُ تِلاوةَ قانونِ إيمانٍ أو صلاةٍ ما، وليس مُحادثةً وليس تمثُّلًا بثقافةِ الغربِ أو بلوغَ سنٍّ مُعيَّنةٍ أو حُضورَ درسٍ أو تنفيذَ شعائر ما، كما أنَّ الاهتداء ليس مسيرةً يتبعثرُ الجميعُ على طولها في نقاطٍ مختلفة، بل هو أن نلتفَّ بكلِّ حياتنا عن البرِّ الذاتيِّ إلى برِّ المسيح، وعن حُكمِنا لذواتنا إلى حُكم الله لنا، وعن عبادة الأوثانِ إلى عبادة الله وحده.

لكنْ لاحِظْ ما يُضيفُه البيانُ عن الاهتداء الذي نختبره: نلتفُّ ونحن على "يقينٍ عميقٍ بذنبنا وعجزنا والخطر المُحدق بنا وبِطَريق الخلاص بالمسيح". كيف يحصُلُ هذا؟ من الذي يُعطينا اليقين؟ "روح الله المجدِّدُ في نفوسنا" هو مَن يصنع هذا. ويذكُرُ البيانُ مقطعَين كتابيَّين ليدعم هذه الفكرة:

''فلمَّا سمِعوا ذلكَ سكَتوا، وكانوا يُمجِّدونَ الله قائلينَ: "إذًا أعطَى الله الأُمَمَ أيضًا التَّوبَةَ للحياةِ!"'' (أعمال ١١: ١٨).

''لأنَّكُمْ بالنِّعمَة مُخَلَّصونَ، بالإيمانِ، وذلكَ ليس مِنكُم. هو عَطيَّةُ الله'' (أفسس ٢: ٨).

إنْ نَظَرنا إلى الاهتداء بوصفه عملًا بادرنا نحنُ به بعيدًا عمَّا يعمله الله أوَّلًا فينا، فقد أسأنا فهمَ طبيعة الاهتداء. فمع أنَّه بالتأكيدِ يشتملُ على ما نعمله نحن، كما ذكرنا سابقًا، فإنَّه أكثر من ذلك بكثيرٍ؛ إذ يُطلعُنا الكتابُ المقدَّسُ على حاجتنا إلى تبديلٍ لقلوبنا، وتغييرٍ لأذهاننا، وحياةٍ لأرواحنا، وهذه أُمورٌ ليسَتْ في استطاعتنا. فالتغيير الذي يحتاج إليه كلُّ إنسانٍ هو تغييرٌ جذريٌّ لا يستطيعُ القيامَ به سوى الله وحده القادر على الوصولِ إلى أعمق جذورنا. الله الذي خلقنا في البدء، هو مَن يُمكنُه أن يصنعَ منَّا خليقةً جديدة. الله المسؤول عن ولادتنا الطبيعيَّة، يُمكنُه أن يُعطينا ولادةً جديدة. الله نفسه هو مَن نحتاج إليه ليُهدينا.

روى تشارلز سبيرجن (Charles Spurgeon)، الواعظُ المشهورُ من القرن التاسع عشر، حادثةً كان فيها يسيرُ في أحد شوارع لندن حيثُ اقتربَ منه رجلٌ سكِّيرٌ واستند إلى عمود إنارةٍ وقال له: ''مستر سبيرجن! أنا أحدُ مَن اهتدوا على يديك!''. فأجابه سبيرجن: ''لا بدَّ أنَّك فعلًا ممَّن اهتدوا على يديَّ أنا، فأنت حتمًا لست ممَّن اهتدوا على يدي الربِّ''.

حينما تُسيءُ كنيسةٌ ما فَهمَ تعليم الكتابِ المقدَّس عن الاهتداء، فيُحتمل أن تمتلئ بأُناسٍ قالوا الصدق في مرحلةٍ ما لكنَّهم لم يختبروا

الاهتداء الذي يصوِّره الكتابُ المقدَّس بوصفه تغييرًا جذريًّا في الإنسان.

قد تُصاحبُ الاهتداءَ موجةٌ من العواطف الجيَّاشة وقد لا يحدث ذلك، لكنَّ الاهتداءَ حتمًا سيبرهنُ عن ذاته بثماره على أيَّة حالٍ؛ أي هل تُعطي الحياةُ دليلًا على التغيير، بخلع العتيق وارتداء الجديد؟ هل الأعضاء دؤوبون في مُحاربةِ خطاياهم، حتَّى وإن تعثَّروا مِرارًا؟ هل يُبدون اهتمامًا جديدًا بالعِشْرَة مع المؤمنين الآخرين، ولربَّما يُبدون أيضًا ميولًا جديدةً نحو تمضية الوقت مع غير المؤمنين؟ هل بدأوا يتجاوبون مع التجارب والتحدِّيات بطريقةٍ مُختلفة عمَّا كانوا يُظهرونه قبل الإيمان بالمسيح؟

ينعكِسُ الفهمُ الصحيحُ للاهتداء ليس فقط في العظات، بل أيضًا في مُتطلَّبات المعموديَّة والاشتراك في مائدة الربِّ، وفي الحذر في كثير من المواقف، وفي رفضِ الرعاة أيَّ ضغطٍ من أجل تعميد أُناسٍ على عجلةٍ وبلا فحص.

وسيظهر في توقُّعات الكنيسة للعضويَّة فيها، فلا يكون الانضمامُ فوريًّا، بل قد يُقتَرحُ على الأعضاء الجُدُد الخوض في دراسةٍ عن العضويَّة، وتُطلبُ منهُم شهادةُ خلاصٍ، وشرحٌ لبشارة الإنجيل.

كما ينعكسُ الفهمُ الصحيح للاهتداء في رفض الكنيسة التساهُل مع الخطايا الظاهرة؛ فالمُحاسبة والتشجيع، والتوبيخ أحيانًا هي أُمورٌ اعتياديَّة في حياة الكنيسة. وسنُناقش التأديب الكنسيَّ الذي يُفترَض أن يمارَس في الكنيسة في الفصل الثاني عشر.

وهكذا، فإنَّ فهمَ الاهتداء كما يُقدِّمه الكتابُ المقدَّسُ هو علامةٌ مهمَّةٌ تميِّزُ الكنيسةَ السليمة.

الفصل ٩

علاماتٌ مهمَّة تُميِّز الكنيسة السليمة: فهمٌ كتابيٌّ للكرازة

أشرنا حتَّى الآن إلى أنَّ الكنائس السليمة تتميَّزُ بالعلامات التالية: الوعظُ التفسيريُّ، اللاهوتُ الكتابيُّ، فهمٌ كتابيٌّ لبشارةِ الإنجيل وللاهتداء. ويعني هذا أنَّ الكنائس التي لا تُعلِّم الكتابَ المقدَّس متمسِّكةً بالتعليمِ الصحيح تُصير مريضة.

كيف تبدو الكنيسةُ المريضة؟ الكنيسةُ المريضةُ كنيسةٌ تُردِّدُ فيها العِظاتُ أقاويلَ مُبتذلة وأُخرى مُعادة، والأسوأُ من هذا عندما تصيرُ العظاتُ مُهتمَّةً بالأخلاقيَّات الظاهرة ومتمحورة حول الذات، وتُصاغُ بشارةُ الإنجيل فيها بوصفها فكرةً روحيَّةً مُفيدة. كما يُعدُّ الاهتداءُ في هذه الكنيسة كأنَّه مُبادرةٌ من الإنسان، ولا يعود بالإمكان تمييزُ الكنيسة من الثقافة الدنيويَّة المُحيطةِ بها، حتَّى وإنْ كان هذا على درجاتٍ تتراوحُ من سيِّئ إلى أسوأ.

وباختصارٍ، لا تُنادي رعيَّةٌ كهذه بالأخبار المُذهلة عن الخلاص بيسوع المسيح، ولا تُعطيها الاعتبار اللائقَ بها.

بينما ندرُسُ الآن علامةً مهمَّةً أُخرى تُميِّزُ الكنيسة السليمة- وهي

علامة الفهمِ الكتابيِّ للكرازةِ- يَجدُرُ بنا أن نذكرَ الأثرَ الذي يُحدثُه فهمنا للعلامات السابقة، الجوهريَّةَ منها والمهمَّة، في نظرتنا إلى هذه العلامة. وأكثرُها تأثيرًا هي العلامةُ المختصَّةُ بالاهتداء.

فَمِن جهةٍ، إذا تأثَّرت أفكارُنا بما يُعلِّمه الكتابُ المقدَّس عن الله وأعماله، وبما يُعلِّمه عن خَبَرِ الإنجيلِ وحاجةِ البشر الخُطاةِ، سيُتبَعُ هذا بفهمٍ قويمٍ للكرازة، إذ إنَّنا بهذا نسعى إلى تحفيز الكرازةِ بالتعليمِ الكتابيِّ والتأمُّلِ ببشارةِ الإنجيل نفسها، لا بمجرَّد تعلُّمِ أساليبِ الكرازة وطُرُقِها.

لطالما أحببتُ كيف يُدرِكُ المسيحيُّون الجُدُد طبيعةَ خلاصهم المجيدة تلقائيًّا، ولربَّما سمعتَ مؤخَّرًا شهادةَ خلاصِ أحدهم مُعترِفًا فيها أنَّ الاهتداء هو من فِعل الله (أفسس ٢: ٨-٩)، بعباراتٍ من هذا القبيل: "كُنتُ ضالًّا ومنغمسًا في خطاياي، لكنَّ الله...".

ومن جهةٍ أُخرى، إذا هَمَّشَتْ كنائسُنا ما يقوله الكتابُ المقدَّسُ عمَّا يعملُه الله في الاهتداء، ستصيرُ الكرازَةُ مجرَّدَ بذلٍ للجُهدِ في سبيل سماعِ اعترافٍ لفظيٍّ لا أكثر. فمن مؤشِّرات غيابِ فهمٍ كتابيٍّ للاهتداء والكِرازَةِ هو الفرق الملحوظ في كنيسةٍ ما بين الأعضاء المسجَّلين فيها ومَن يحضرون فعلًا. ينبغي لكنيسةٍ تُعاني هذا أن تتوقَّف قليلًا وتفكِّر في السبب وراء العدد الكبير من الأعضاء التي تأتي بها كرازَتُها مع أنَّها لا تراهُم، وكأنَّهُم واثقون بخلاصهم ثقةً عمياء. عليها أن تسأل: ما الذي قُلناه لهم عن التلمذة في المسيح؟ ماذا علَّمناهُم عن الله والخطيَّة والعالم؟

الفهمُ الكتابيُّ للكِرازةِ مهمٌّ جدًّا لجميع أعضاءِ الكنيسة، ولا سيَّما لمن يحملون مسؤوليَّةَ التعليم فيها.

المسيحيُّون مدعوُّون للاهتمام بغير المؤمنين ودعوتهم وحتَّى إقناعهم (٢كورنثوس ٥: ١١)، إلَّا أنَّنا مدعوُّون للقيام بهذا "بإظهارِ الحقّ"، أي "رَفَضنا خَفايا الخِزيِ، غَيرَ سالِكينَ في مَكرٍ، ولا غاشِّينَ كَلِمَةَ الله" (٢كورنثوس ٤: ٢).

الكِرازَةُ، بتعبيراتٍ أُخرى، ليست ببذل كُلِّ الجُهد في سبيل دفع أحدِهِم لاتِّخاذِ قرارٍ ما بشأن يسوع، ولا بفرضِ رأينا عليه؛ إذ إنَّ مُحاولةَ إجبارِ ولادةٍ روحيَّةٍ على أحدِهِم مثلُها مثلُ مُحاولة حزقيال تركيب العظام الميِّتة الجافَّة ليصنع إنسانًا (حزقيال ٣٧)، أو كظنِّ نيقوديموس أنَّ في وُسعه أن يَلِدَ نفسه مجدَّدًا بالروح (يوحنَّا ٣).

كما أنَّ الكرازةَ ليست مُشاركةَ أحدِهم اختبارَكَ الشخصيّ، ولا تقديمَ دفاعٍ منطقيٍّ عن الإيمان، ولا حتَّى القيامَ بأعمالٍ خيريَّة، مع أنَّهُ يُمكِنُ أن تصاحبَ الكرازةَ هذه جميعها. وعلينا ألَّا نحسبَ الكِرازةَ ونتائجَهَا الشيءَ نفسه، وكأنَّنا نقولُ إنَّ الكِرازة كانت ناجحة لأنَّها أنتجتْ اهتداءَ بعض الأشخاص. كلَّا! فالكِرازَةُ كلامٌ يُقالُ، وأخبارٌ تُحكى، وأمانةٌ نُظهِرُها نحو الله بتقديمِ الأخبارِ السارَّة عن المسيح، الذي بموته وقيامته، وفَّر طريقةً تُصالِحُ أُناسًا أثمةً مع الله القدُّوس، كما ناقشنا في الفصل الثامن. الله هو مَن سيأتي بالاهتداء الحقيقيِّ حينما نُقدِّمُ هذه الأخبار السارَّة (اقرأ يوحنَّا ١: ١٣؛ أعمال ١٨: ٩-١٠). الكِرازةُ باختصارٍ هي تقديمُ الأخبار السارَّة بأمانةٍ ووضع مهمَّة هِدايَة الناس بين يدَيِ الله (اقرأ أعمال ١٦: ١٤) واثقين بمفهوم: "للربِّ الخَلاصُ" (يونان ٢: ٩؛ قارن هذا بما ورد في يوحنَّا ١: ١٢-١٣).

حينما أكرِزُ برسالة الإنجيل، أحاوِلُ إيضاحَ ثلاثةِ أُمورٍ تتعلَّقُ بالقرار الذي ينبغي لسامعيَّ اتِّخاذه من جهة بشارةِ الإنجيل:

- القرارُ قرارٌ مُكلفٌ؛ يجبُ التفكير فيه مليًّا (اقرأ لوقا ٩: ٦٢).
- القرارُ قرارٌ مُستعجل؛ لا تؤجِّله (اقرأ لوقا ١٢: ٢٠).
- القرارُ قرارٌ يستحقُّ الاتِّخاذ؛ أنت ترغبُ في اتِّخاذه (اقرأ يوحنَّا ١٠: ١٠).

هذه هي الرسالةُ التي نحتاجُ إلى إيصالها إلى عائلاتنا وأصدقائنا، وهذه هي الرسالةُ التي نحتاجُ إلى إيصالها جميعنا، بوصفنا الكنيسة.

وهكذا، فهمُ الاهتداءِ ومُمارستُه كتابيًّا هو علامةٌ مهمَّةٌ أخرى تميِّزُ الكنيسة السليمة؛ فالنموُّ الحقيقيُّ هو نموٌّ يقومُ به الله بواسطةِ شعبه.

الفصل ١٠

علامةٌ مهمَّة تُميِّز الكنيسة السليمة: فهمٌ كتابيٌّ للعضويَّة

هل العضويَّة في الكنيسة فكرةٌ كتابيَّة؟ الإجابةُ من ناحيةٍ هي لا؛ فإنْ قرأتَ العهدَ الجديد، لن تجده يحكي عن أكيلا وبريسكلَّا يتفحَّصان كنيسةً ما بعد أن انتقلا إلى روما، ثمَّ تفحَّصا أُخرى، ثمَّ اتَّخذا القرار بالانضمام إلى ثالثة. يبدو لنا أنْ لا أحد كان يذهب حينها للتسوُّقِ بحثًا عن كنيسةٍ ما، فقد وُجدتْ هناك كنيسةٌ واحدة لكلِّ مُجتمع. ومن هذا المُنطلَق، لن تجد العهدَ الجديد يحكي عن قوائم بأسماء أعضاء الكنائس.

ومع أنَّ الكنائس المذكورة في أسفار العهد الجديد احتفظت فعلًا بقوائم لأسماء من نوعٍ ما، كالقوائم بأسماء الأرامل اللواتي تعولهنَّ الكنيسة (١تيموثاوس ٥)، فإنَّ عددًا من المقاطع الكتابيَّة تلمِّحُ إلى قُدرةِ الكنائس على تحديد أعضائها بطريقةٍ ما، والتعرُّفِ إلى من ينتمي إليها ومن هُم خارجها.

ففي أحد الحوادث مثلًا، كان رجلٌ في كنيسةِ كورنثوس يسلُكُ سلوكًا شائنًا "لا يُسَمَّى بَيْنَ الأُمَم" (١كورنثوس ٥: ١)، فراسَل بولس الكورنثيِّين وأوصاهُم أن يستبعدوا هذا الرجُل من الجماعة. لكنِ انتظر قليلًا! لا

يُمكنك أن **تستبعد** أحدهُم رسميًّا، إنْ لم يكُن ذاك قد **أُدخل** رسميًّا في بادئ الأمر.

ويبدو أنَّ بولس يُشير إلى الرجُل نفسه في رسالته التالية إلى أهل كورنثوس بإشارته إلى "الْقِصَاص الَّذِي مِنَ الأَكْثَرِين" (٢كورنثوس ٢: ٦). ترَّيث قليلًا! لا يُمكن أن تُشير إلى "الأكثرين" إلَّا إذا كانت هُناك مجموعةٌ معروفة من الناس، وفي هذه الحالة، مجموعةٌ معروفةٌ من أعضاء الكنيسة.

كان بولس يهتمُّ بمن هُم "من الداخل" ومن هُم "من الخارج"؛ وهذا لأنَّ الربَّ يسوع نفسه أعطى الكنيسة شرعيَّةَ وَضْع حدٍّ، بكلِّ تواضُعٍ مُمكن، ليفصلهُم عن العالم ويُميِّزهُم عنه.

> "الحقَّ أقولُ لكُم: كلُّ ما تربِطونَهُ علَى الأرضِ يكونُ مَربوطًا في السماءِ، وكلُّ ما تحلُّونَه علَى الأرضِ يكونُ مَحلولًا في السماء" (متَّى ١٨: ١٨؛ اقرأ أيضًا ١٦: ١٩؛ يوحنَّا ٢٠: ٢٣).

الكنيسة السليمة، كما ذكرنا سابقًا، هي الرعيَّة التي تعكس صفات الله أكثر فأكثر؛ لذا نُريدُ لسجلَّاتنا على الأرض أن تتساوى قدر الإمكان مع سجلَّات السماء؛ أي مع أسماء مَن كُتِبوا في سفرِ حياة الحمل (فيلبِّي ٣: ٨؛ رؤيا ٢١: ٢٧).

الكنيسة السليمة هي الكنيسة التي تطمح إلى استقبال الأفراد الذين يعترفون بالإيمان بناءً على أُسس معيَّنة وصَرفِ هؤلاء الأفراد، مثلما أوصى كتَّابُ العهد الجديد بذلك؛ ويعني هذا أنَّها تطمح أن تفهمَ العضويَّة كتابيًّا.

للهيكلِ حجارةٌ، وللقطيعِ خرافٌ، وللكرمةِ أغصانٌ، وللجسدِ أعضاءٌ. العضويَّةُ في الكنيسة من ناحيةٍ تبدأ بعدما يُخلِّصنا المسيح ويجعلنا أعضاء في جسده، إلَّا أنَّه يجبُ أن يُعبَّرَ عن عَمَله هذا في كنيسةٍ محلِّيَّة؛ ويعني هذا، من الناحية الأُخرى، أنَّ عضويَّة الكنيسة تبدأ بعدما نلتزمُ الحضورَ ضمنَ جسدٍ معيَّنٍ من المؤمنين. أن تكونَ مسيحيًّا يعني أن تنضمَّ إلى كنيسة.

لهذا يحثُّنا الكتابُ المقدَّسُ على الاجتماع بانتظامٍ حتَّى نفرح معًا على الدوام برجائنا المشترك ونُشجِّع بعضنا بعضًا بانتظامٍ على المحبَّة والأعمال الصالحة (عبرانيِّين ١٠: ٢٣-٢٥). إذ ليست العضويَّة في الكنيسة مُجرَّد تسجيل أسمائنا في السجلَّات، ولا هي مشاعر داخليَّة، ولا مُجرَّدُ أُلفةٍ نحو مبنًى ما، ولا هي ولاء أو عدم ولاء نحو تقليدِ الأهل، بل ينبغي أن تكون تعبيرًا حيًّا عن التزامٍ صادق، وإلَّا فلا قيمة لها. وليست بلا قيمةٍ فقط، بل أسوأ من ذلك؛ إذ قد تكونُ خَطِرة كما سنبيِّنُ لاحقًا.

عُضويَّةُ الكنيسة مُمارسةٌ يتمسَّك بها المسيحيُّون بعضهم ببعض بمسؤوليَّة ومحبَّة؛ فحينما ننضمُّ إلى كنيسةٍ محلِّيَّةٍ ما، فإنَّنا نبعثُ برسالةٍ لرُعاةِ تلك الكنيسةِ وأعضائها فحواها أنَّنا نُكرِّسُ أنفسنا لهُم بالالتقاء والعطاء والصلاة والخدمة. ونُخبرهُم بهذا أنَّنا نتوقَّعُ منهُم أمورًا مُعيَّنة، ونتوقَّعُ أن يُحاسبونا أيضًا إذا ما قدَّمنا ما يُتَوقَّعُ منَّا. فانضمامُكَ إلى كنيسةٍ يعني أنَّك تقول: "أنا الآن تحت مسؤوليَّتكم، وأنتُم تحت مسؤوليَّتي" (أُدرِكُ أنَّ هذا يُخالفُ ثقافتنا، بل يُخالف طبيعتنا الخاطئة أيضًا).

وتعني العضويَّة الكتابيَّة تحمُّلَ المسؤوليَّة، وهذا مُستنبطٌ من واجبنا المُتبادل الذي يحكي عنهُ الكتابُ المقدَّس في مقاطع "بعضكُم بعضًا":

أحبُّوا بعضكم بعضًا، اخدموا بعضكم بعضًا، شجِّعوا بعضكم بعضًا. ينبغي لجميع هذه الوصايا أن توجدَ في التعهُّد الذي تقطعهُ الكنيسة السليمة (اقرأ هذا في الملحق).

وسيُساعدُ إتقانُ العلامات السابقة كثيرًا على إتقان هذا الأمر؛ فأعضاءُ الكنيسة سينمون في معرفة مسؤوليَّاتهم المتبادلة كلَّما أحبُّوا رسالةَ الإنجيل أكثر، وفهموا عمل الله العجيب في الاهتداء، وكَرَزُوا للآخرين مع تنبيههِم بشأن الثمن الذي ينبغي أن يدفعوه في حياتهم. وإلَّا سيحسبُ المسيحيُّون كنائسَهم مكانًا للترفيه والمكسَب، وكأنَّها متجرٌ للأغراض المسيحيَّة، بدل أن يحسبوها بيتًا يعيشون فيه، أو جسدًا يهتمُّ أعضاؤه بعضهم ببعض. يُحزِنُني أنَّ هُنالك فرقًا شاسعًا في الغالب ما بين الأشخاص المحسوبين أعضاءً في الكنائس ومَن يحضرون فعلًا بانتظام. تخيَّل كنيسةً من ثلاث مئةِ عُضوٍ، يحضُرُ منهم بانتظامٍ ستُّون واحدًا فقط. أخشى أنَّ الكثير من الرعاة الإنجيليِّين اليوم قد يتفاخرون بما يحسَبونه عضويَّة الكنيسة، بدل أن يُقلِقُهم أعدادُ من لا يحضرون منهم. إذ تكشف دراسةٌ صدرت مؤخَّرًا أنَّ معدَّلَ عدد الأعضاء في كنيسةٍ معمدانيَّةٍ جنوبيَّةٍ اعتياديَّة في الولايات المتَّحدة يبلغ ٢٣٣ عضوًا، يحضُرُ منهم صباح أيَّام الأحد ٧٠ فقط.

هل تعتقدُ أنَّ عطاءنا أفضلُ من هذا؟ فأيُّ رعيَّةٍ تزيدُ ميزانيَّتُها على عُشر الدخلِ السنويِّ لأعضائها؟قد تقفُ المعوِّقات الجسديَّة في طريق الحضور المنتظم، وقد تُعوِّقُ الضغوطاتُ المادِّيَّةُ العطاء، لكنْ ينبغي أن نتساءلَ ما إذا كانت الكنائسُ تبجِّلُ الأرقام؛ فالأرقامُ يُمكن أن تُعبَدُ بسهولةِ عبادةِ المنحوتات، ولربَّما أسهل. وأظنُّ أنَّ الله سيُقيِّمُ حياتنا ويزنُ أعمالنا، بدلَ أن يحسبَ أرقامنا.

فما مخاطر الأعضاء المتهرِّبين من المسؤوليَّة ولا يحضرون الاجتماعات؟ يُشوِّشُ هذا النوع من الأعضاء ما يعنيه أن يكون الفردُ مسيحيًّا في أذهانِ الأعضاء الحقيقيِّين وكذلك أذهانِ غير المؤمنين. كما لا يُساعِد عُضو الكنيسةِ الفعَّالُ الأعضاءَ غير الفعَّالين (بإرادتهِم) إذا سمح لهُم أن يبقوا أعضاءً في الكنيسة؛ فعضويَّة الكنيسة هي أشبه بتصديقٍ من الكنيسة على خلاصِ هؤلاء الأعضاء. هل فهمتَ ما أعنيه؟ أي أنَّك إنْ دعوتَ شخصًا ما عُضوًا في كنيستك، فإنَّك تقول إنَّ له تأييدَ الكنيسة لكونه مؤمنًا بالمسيح.

فكيف يُمكن أن تشهدَ رعيَّةٌ أنَّ أحدَهُم "يجري ضمن السباق" بأمانةٍ إنْ كانت لا تراهُ لأشهُرٍ أو حتَّى سنوات؟ وكيفُ يُمكنُنا أن نوقِنَ أنَّ أحدَهم كان بالفعل واحدًا منَّا إنْ غاب ولم يكُن قد انضمَّ إلى كنيسةٍ أُخرى تؤمن إيمانًا حقًّا بالكتابِ المقدَّس (اقرأ ١يوحنَّا ٢: ١٩)؟ لا يُمكِنُنا بالضرورةِ أن نجزمَ ما إذا كان مثل هؤلاء الأعضاء مؤمنين بالمسيح أم لا، لكنَّنا ببساطةٍ لا يُمكنُنا التأكيدُ على كونِهم كذلك. لا ينبغي أن نقول لهم: "نعلمُ أنَّك في طريقك إلى الجحيم"، لكن يُمكنُنا أن نقول إنَّنا "لم نَعُد قادرين على التعبير عن ثقتنا بأنَّك في طريقك إلى السماء". فتصديق الكنيسةِ على العضو الذي يغيبُ طَوال الوقت ساذجةٌ في أفضل أحوالها، وكاذبة في أسوأها.

لا تُطالِب الكنيسةُ التي تُمارسُ العضويَّة الكنسيَّة الكتابيَّة الكمال والمثاليَّة من أعضائها، بل تسألُهُم التواضعَ والصِّدق. ولا تدعوهُم إلى قراراتٍ شفويَّة مجرَّدة، إنَّما إلى تلمذةٍ مسيحيَّة حقيقيَّة. كما لا تُقلِّلُ كنيسة كهذه من أهمِّيَّة الاختبارات الشخصيَّة لأعضائها مع الله، لكنَّها في الوقت نفسه لا تفترض الكثيرَ عنهم، إذ لا أحد تكمَّل بعد. من أجل هذا

يُقدِّم العهد الجديد دورًا للتصديق الجماعيِّ ممَّن هُم في عهدٍ مع الله وبعضهم مع بعض.

أتمنَّى أن أرى إحصائيَّات العضويَّة في الكنائس تزدادُ صدقًا، حيثُ يكون العضو **بالتسجيل** عضوًا **بالتأكيد**. عمليًّا، يعني هذا إلغاء بعض الأسماء من وقتٍ إلى آخر من قوائم الكنيسة، دون أن نلغيَها من قلوبنا. ويعني أيضًا تعليمَ الأعضاء الجُدد على الدوام ما قصده الله من الكنيسة، وتذكيرَ الأعضاء الحاليِّين باستمرارٍ بالتزامِهِم حياةَ الكنيسة. نقوم بهذا في كنيستي بأساليب مختلفة، كدُروسِ العضويَّة وقراءة عهد الكنيسة بصوتٍ مسموع كلَّما تناولنا مائدة الربِّ.

وكلَّما ازدادت كنيستي صحَّةً، ازداد عددُ الحضور صباحَ أيَّام الأحد على الأسماء المُدرجة رسميًّا في قائمة أعضاء الكنيسة. لا بدَّ أن ترغبَ في هذا من أجل كنيستك أيضًا.

لا ينبغي لمحبَّتنا أن تسمح لأصدقائنا القُدامى بحيازة عضويَّتهم في رعيَّتنا على أُسُس المشاعر المتبادلة، بل تظهرُ محبَّتنا بصدقٍ حينما نُشجِّعهُم على الانضمام إلى كنيسةٍ يُمكنُهم فيها أن يُحبُّوا الآخرين وينالوا المحبَّة منهُم أسبوعيًّا، بل يوميًّا إنْ أمكن. لذا نتعهَّد في كنيستي في أثناء تلاوتنا عهدَ الكنيسة قائلين: "سنتَّحدُ بكنيسةٍ أُخرى في أقربِ وقتٍ مُمكن إذا انتقلنا من هذا المكان، لنواصلَ العملَ بروحِ هذا العهد وبمبادئ كلمة الله". يُعدُّ هذا الالتزامُ جُزءًا لا يتجزَّأُ من التلمذةِ السليمة، وسط عصر السُّرعةِ الذي نعيشه.

ستأتي مُمارسةٌ صحيحة لعضويَّة الكنيسة بالكثير من الفوائد؛ إذ

تجعل شهادتنا لغير المؤمنين أكثر وضوحًا، وتُصَعِّب على الخرافِ الضغيفة الضلالَ عن المرعى، حيثُ تُمكِّنُنا في الوقت نفسه أن ندعوهُم خرافًا رغمَ ضعفهم. كما تُساعِدُ على تنظيم تلمذة المؤمنين الأكثر نُضجًا والتركيز عليهم، وتُساعِدُ قادة الكنيسة على تمييز الأشخاص الذين في عُهدَتِهم. وفي هذا كلِّه يتمجَّدُ الله وحده.

صلِّ أن تُفهَمَ عضويَّة الكنيسة فَهمًا أفضلَ ممَّا هو عليه حاليًّا لنتمكَّن من معرفة الأشخاص الذين ينبغي أن نُصلِّي من أجلهم ونشجِّعهم ونتحدَّاهُم في الإيمان. تعني العضويَّة في الكنيسة الانخراط بوسائلَ عمليَّة في جسد المسيح، وتعني الارتحال معًا بوصفنا غُرباء ونُزلاء في هذا العالم إلى أن نَبلُغ وطننا السماويَّ.

الفهمُ الكتابيُّ لعضويَّة الكنيسة هو حقًّا علامةٌ أُخرى للكنيسة السليمة.

الفصل ١١

علامةٌ مهمَّة تُميِّز الكنيسة السليمة: فهمٌ كتابيٌّ للتأديب الكنسيّ

يَلدُ الفهمُ الكتابيُّ لعضويَّة الكنيسة فهمًا كتابيًّا للتأديب الكنسيِّ؛ **فالعضويَّة** ترسُمُ حدودًا حول الكنيسة، وتُميِّزها عن العالم، أمَّا **التأديب** فيُساعد الكنيسة التي تحيا داخل هذه الحدود على الثبات في النزاهة نحو الأمور التي رُسمَت الحدود من أجلها، كما تُعطي معنًى لارتباط العضو بالكنيسة، إذ إنَّها علامةٌ أُخرى تميِّز الكنيسة السليمة.

ما التأديب الكنسيّ؟ التأديب الكنسيُّ في أبسط معانيه هو عمليَّةُ استبعاد مَن يعترف أنَّه مسيحيٌّ من عضويَّة الكنيسة ومن الاشتراك في مائدة الربِّ بسبب خطيَّةٍ خَطِرةٍ لا يَتوب عنها ويرفُض التخلِّي عنها.

قد تُساعدنا إعادة النظر في ما قيل في الفصل الثالث عن قصد الله مِن خلق الكون والبشريَّة وبني إسرائيلَ والكنيسة، في سبيل فَهمِ التأديب الكنسيّ. خَلَقَ الله الكون ليعرضَ مجده، وخَلَقَ البشريَّة للقصد ذاته، وصار هذا تحديدًا في خلقه إيَّانا على صورته ومثاله (تكوين ١: ٢٧). ولمَّا لم يعرِض البشرُ، أي آدم وحوَّاء، مجدَ الله، طردهُم الله من الجنَّة.

ثمَّ دعا الله بني إسرائيل ليعكسوا مجده إلى الأُمم باستعراض قداسته

وصفاته كما جاء في الناموس تحديدًا (اقرأ لاويِّين ١٩: ٢؛ أمثال ١: ٢٤-٢٥)، وفي خِضمِّ هذا كان الناموسُ أساسًا لتقويم الناس من الجماعة واستبعادهم (كما يظهرُ في عدد ١٥: ٣٠-٣١). إلى أن صار أيضًا الأساس الذي عليه طُرِدت الأُمَّة نفسها من الأرض.

بعد هذا خلقَ الله الكنيسة كما ذكرنا سابقًا لتعكسَ صفات الله أكثر فأكثر كما تكشِفُها كلمة الله. ولدى تَتبُّع الخطِّ الزمنيِّ لأحداث الكتاب المقدَّس هذه، يتبيَّنُ لنا أنَّ التأديب الكنسيَّ هو عمليَّةُ استبعادِ فردٍ يأتي بالمذمَّةِ إلى الإنجيل بإهماله، ولا يُبدي التزامًا في تصليح ما قام به، فيُساعدُ التأديبُ الكنيسةَ أن تعكسَ سماتِ الله بأمانةٍ، وتُساعدها على الحفاظ على قداستها كأنَّها محاولةٌ لتلميع مرآةٍ من الشوائب (اقرأ ٢كورنثوس ٦: ١٤-٧: ١، ١٣: ٢؛ ١تيموثاوس ٦: ٣-٥؛ ٢تيموثاوس ٣: ١-٥). فما القصد من التأديب إذًا؟ لتظهرَ قداسةُ الله المحِبَّة بوضوح، ولتُشعَّ ببريقٍ مُتزايد.

وإنْ تساءلنا عن كيفيَّة سيرِ عمليَّة التأديب، فيجب التنويه إلى الاختلافات بين الأوضاع المحيطة في الخطيَّة في مُختلف الحالات، لذا هناك حاجةٌ إلى حكمةٍ رعويَّة في التعامُل مع كلِّ وضعٍ على حِدة.

مع هذا، فإنَّ كلمات المسيح يسوع في متَّى ١٨ تُعطي توجيهاتٍ عامَّة (متَّى ١٨: ١٥-١٧) تبدأ بمُخاطبةِ الأخ المُخطئ على انفرادٍ، وإنْ تاب فقد انتهى التأديب. وإنْ لم يتُب فعلى الأخ الذي وقعَ الخطأ بحقِّه أن يعودَ ويعاتبَه ثانيةً في محضرِ مسيحيٍّ آخر، وإنْ أبى أن يتوب بعد هذا، يقول يسوع: "وإنْ لَم يَسمَعْ منهُم فقُلْ للكَنيسة. وإنْ لَمْ يَسمَعْ من الكَنيسَةِ فليَكُنْ عندَكَ كالوَثَنيِّ والعَشَّار" (متَّى ١٨: ١٧)، أي احسبه خارجًا عن الكنيسة.

قد يستصعب الكثيرون اليوم هذه الفكرة متسائلين: "ألم يوصِ يسوع أتباعه بعدم إدانةِ الآخرين؟" بالتأكيد نبَّه يسوع على هذا من ناحيةٍ ما: "لا تدينوا لكَيْ لا تُدانوا" (متَّى ٧: ١). إلَّا أنَّ يسوع أوصى الكنيسة أيضًا في السفر نفسه بتوبيخ أعضائها على خطاياهم، توبيخًا علنيًّا إنْ لزم الأمر (متَّى ١٨: ١٥-١٧؛ قارن بما ورد في لوقا ١٧: ٣). فما عناه يسوع إذًا بعبارة "لا تدينوا" لا يُمكن أن يستثني جميع مواقف "الإدانة" التي نعرفها اليوم ومعانيها.

فالله نفسهُ ديَّانٌ؛ إذ دانَ آدم في الجنَّة، ودان أُممًا وأفرادًا في أحداث العهد القديم، ويَعِدُ الله في العهد الجديد أنَّ المؤمنين سيُدانون بحسب أعمالهم (١كورنثوس ٣)، ويَعِدُ أيضًا أنَّه سيُعلن نفسه في اليوم الأخير بوصفه ديَّانَ البشريَّة الأعظم (اقرأ رؤيا ٢٠).

لا يُخطئ الله في دينونته بتاتًا، إذ هي بارَّةٌ دومًا (اقرأ يشوع ٧؛ متَّى ٢٣؛ لوقا ٢؛ أعمال ٥؛ رومية ٩)؛ فقد تكون مقاصد الله من الدينونة أحيانًا التصحيح والفداء والتجديد، مثل تأديبه لأولاده، وقد تكون مقاصده أحيانًا العقاب والنقمة النهائيَّين، مثل غضبه المُعلَن على الفُجَّار (اقرأ عبرانيِّين ١٢). وفي كلتا الحالتَين، تبقى دينونة الله عادلة.

ما قد يَصدِم الناس اليوم هو استخدام الله للبشر في إنزال دينونته في حالاتٍ محدودة؛ فالدولةُ مسؤولةٌ عن إدانة مواطنيها (اقرأ رومية ١٣)، والمسيحيُّون مسؤولون عن إدانة بعضهم بعضًا (اقرأ ١كورنثوس ١١: ٢٨؛ عبرانيِّين ٤؛ ٢بطرس ١: ٥)، والرعيَّة أحيانًا مُطالبةٌ بإدانة أعضاء الكنيسة دون أن تكونَ هذه الدينونة نهائيَّة كدينونة الله.

أُعطيت الكنيسة في متَّى ١٨ وكورنثوس الأولى ٥ و٦، وفي مقاطع

كتابيَّة أُخرى تعليماتٍ بتطبيق الحُكم ضمن رعيَّتها؛ والهدف من هذه الدينونة فدائيٌّ، لا انتقاميٌّ (رومية ١٢: ١٩)، فنجد بولس يأمر الكنيسة في كورنثوس بتسليم الرجل الزاني للشيطان "لِهَلاكِ الجَسَدِ، لكَيْ تخلُصَ الرُّوحُ" (١كورنثوس ٥: ٥)، ونجده يأمر تيموثاوس بذلك أيضًا من جهة المعلِّمين الكذبة في أفسس (١تيموثاوس ١: ٢٠).

لا ينبغي أن تُدهِشَنا دعوة الله لنا لمُمارسة أشكالٍ معيَّنة من الدينونة أو التأديب؛ فإنْ كان من المتوقَّع من الكنيسة أن توجِّه المؤمنين **إلى السلوك الصحيح**، فيُفترَض أيضًا أن تنبِّه **عن السلوك الخاطئ**. لكنْ أخشى أنَّ حالَ التلمذة في الكثير من الكنائس هي "حال النفخ في قربةٍ مثقوبة"؛ نهتمُّ كلَّ الاهتمام بما نقدِّمه، لكنَّنا ننسى الحفاظ عليه من الضياع، والتراجع الكبير في مُمارسة التأديب الكنسيِّ في الأجيال القليلة الماضية هو مؤشِّرٌ إلى هذا.

لخَّصَ أحدُ الكتَّاب المختَصِّين بنموِّ الكنيسة استراتيجيَّته لتنمية الكنائس بهذه الجملة: "افتَحِ البابَ الأماميَّ وأغلقِ البابَ الخلفيَّ"؛ يَقصِد بهذا أنَّ على الكنائس إتاحة نفسها لمن هُم من الخارج بينما تعتني بمن هُم من الداخل بصورةٍ أفضل. ومع أنِّي أظنُّ أنَّ هذه الأهداف صادقة، فإنِّي أخشى أنَّ الرُّعاةَ والكنائس يرغبون في هذا مُسبَّقًا رغبةً تدفعهُم إلى الخطأ. لذا فلأقترِحِ استراتيجيَّةً كتابيَّة أكثر بحسب رأيي: "احرُسِ البابَ الأماميَّ بحيطةٍ، وافتح الباب الخلفيّ"؛ وبكلماتٍ أُخرى، صعِّبِ الانضمامَ من جهةٍ وسهِّل الاستبعاد من الجهة الأُخرى، وتذكَّر أنَّ الطريقَ المؤدِّي إلى الحياة ضيِّقٌ، لا رحبٌ. أُومنُ بأنَّ القيام بهذا سيساعد الكنيسة على استعادة تميُّزها عن العالم مثلما أراده الله.

وهكذا يتخلَّل الخطوات الأولى نحو مُمارسة التأديب اتِّخاذ الحيطَةِ في قبول الأعضاء الجُدد؛ فمثلًا على الكنيسة الاستفسار من كلِّ فردٍ تقدَّم لينالَ العضويَّة حديثًا عن رسالة الإنجيل، ومُطالبته بتقديمِ دليلٍ عن فهمه لطبيعة الحياة التي تُمجِّد المسيح. فإذا كانت الكنائس أكثر حذرًا في قبولها واعترافها بأعضاءٍ جُدُد، ستقلُّ مُناسبات مُمارسة التأديب الكنسيِّ التصحيحيِّ، حيث سيستفيد الأعضاء المرشَّحون كثيرًا من معرفة توقُّعات الكنيسة وإدراك أهمِّيَّة التزامها.

ويُمكن بالتأكيد القيامُ بالتأديب الكنسيِّ بطريقةٍ مغلوطة؛ إذ يُعلِّمنا العهد الجديد ألَّا نَدينَ بعضُنا بعضًا لدوافع مُختلَقة (اقرأ متَّى ٧: ١)، أو أن نَدين بعضنا بعضًا على أُمور ليست جوهريَّة (اقرأ رومية ١٤-١٥). ويجبُ ألَّا تكون نيَّاتُنا انتقاميَّةً في التأديب، بل مُحِبَّة، مُظهِرين "رحمةً وخوفًا" (يهوذا ٢٢-٢٣). لا شكَّ أنَّ التأديبَ الكنسيَّ مُعرَّضٌ لمشكلاتٍ في التصرُّف الحكيم والتطبيق الرعويِّ، لكنْ يجب ألَّا ننسى أنَّ الحياةَ المسيحيَّةَ بمُجملها صعبةٌ ومُعرَّضةٌ للخطأ، فعلينا ألَّا نحسبَ الصعوباتِ ذريعةً لعدم مُمارسة أمرٍ ما.

على كلِّ كنيسةٍ تحمُّلُ مسؤوليَّة الحُكم بخصوص حياة قادتها وأعضائها وتعاليمهم، لا سيَّما حينما يساوم أحد هؤلاء على شهادة الكنيسة ببشارة الإنجيل (اقرأ أعمال ١٧؛ ١كورنثوس ٥؛ ١تيموثاوس ٣؛ يعقوب ٣: ١؛ ٢بطرس ٣).

يُعبِّر التأديب الكنسيُّ الكتابيُّ عن الطاعة لله والإقرار بحاجتنا إلى المساعدة. تخيَّل عالمًا لا يستخدم الله فيه البشرَ الآخرين لممارسة دينونته-

عالمًا لا يؤدِّب فيه الوالدان أولادَهُما، ولا تُعاقبُ الحكومةُ فيه المُجرمين، ولا تؤنِّبُ فيه الكنيسةُ أعضاءها. سيأتي بنا عالمٌ كهذا إلى يوم الدينونة بلا اختبارٍ للدينونةِ الأرضيَّة الوجيزة التي تحذِّرنا من الدينونة الكُبرى في ذلك اليوم. يا لها من رحمةٍ يُظهِرُها الله لنا بتعليمه إيَّانا الدينونةَ النهائيَّة بهذه العقابات المؤقَّتة!

إليكُم خمس نقاطٍ إيجابيَّة تدعمُ مُمارسة التأديب الكنسيِّ التصحيحيِّ، فهو يُعبِّرُ عن:

١. الرغبة في خَير مَن نال التأديب،
٢. المحبَّة للمؤمنين الآخرين حينما يُشاهدون مخاطرَ الخطيَّة،
٣. الاهتمام الصادق بسلامة الكنيسة بأسرها،
٤. الحرص على شهادة الكنيسة، ومن ثَمَّ تقدير غير المؤمنين في المجتمع ومحبَّتهم،
٥. تبجيل مجد الله؛ إذ ينبغي أن تعكسَ قداستُنا قداسةَ الله.

لا بدَّ أن تحملَ العضويَّة في الكنيسة معنًى أكثر جِدِّيَّة، لا لأجل أنفسنا، بل لأجل مجد اسم الله، لهذا فالتأديبُ الكنسيُّ الكتابيُّ علامةٌ مهمَّةٌ أُخرى تُميِّز الكنيسة السليمة.

الفصل ١٢

علامةٌ مهمَّة تُميِّز الكنيسة السليمة: التلمذة والنموُّ الكتابيَّان

تتميَّزُ الكنيسةُ السليمةُ بعلامةٍ مُهمَّةٍ أُخرى تختصُّ بالاهتمام الدؤوب بنموِّ الكنيسة نموًّا كتابيًّا. وأعني بكلمة "كتابيًّا" تنميةَ الأعضاء أنفسهم، لا أعداد الأعضاء فقط.

يعتقد بعض الناس أنَّه يمكن أن يظلَّ المؤمن بالمسيح "مسيحيًّا رضيعًا" مدى الحياة، وكأنَّ النموَّ خيارٌ متاحٌ للتلاميذ المتحمِّسين فقط، وليس دليلًا على الحياة الطبيعيَّة. لكنَّ الشجرةَ الحيَّة تنمو، والحيوان الحيَّ ينمو؛ فحالة الحياة تستلزم حقيقةَ النموِّ، ويعني النموُّ البلوغَ والتقدُّمَ المستمرَّين، على الأقلِّ حتَّى يتدخَّل الموت.

تاقَ بولس إلى نموِّ الكورنثيِّين في الإيمان (٢كورنثوس ١٠: ١٥)، وإلى نموِّ أهل أفسس "فِي كلِّ شَيءٍ إِلَى ذاكَ الذي هو الرأسُ: المسيحُ" (أفسس ٤: ١٥؛ قارن بما ورد في كولوسِّي ١: ١٠؛ ٢تسالونيكي ١: ٣). كما حثَّ بطرس قُرَّاءه موصِيًا إيَّاهُم: "وكأطفالٍ مَوْلودينَ الآنَ، اشتَهوا اللَّبنَ العَقليَّ العديمَ الغشِّ لكَيْ تنموا به" (١بطرس ٢: ٢).

من السهل على الرعاةِ وبعض الأعضاء أيضًا أن يقعوا في فخِّ تهميش

كنائسهم إلى مجرَّد إحصائيَّات لأعداد الحضور والمتعمِّدين والمتبرِّعين والأعضاء. ومع أنَّ هذا نموٌّ بشكلٍ ما، فإنَّه بعيدٌ كلَّ البُعد عمَّا يرغبُ الله فيه، ويُخبرنا بشأنه كُتَّاب العهد الجديد.

كيف لنا إذًا أن نعرفَ ما إذا كان المؤمنون ينمون بالنعمة؟ إذ لا يُمكنُنا معرفةُ هذا من مجرَّد حماسِهِم، أو كلماتهم المتديِّنة أو حتَّى معرفتهم المتزايدة للكتاب المقدَّس. كما أنَّ إظهارهم المحبَّة نحو الكنيسة أو الثقة بإيمانهم الشخصيِّ ليسا دلائلَ قاطعةً أيضًا، ولا حتَّى الغَيرة الظاهرة نحو الله تُحسبُ مؤشِّرًا رئيسيًّا. ومع أنَّ هذه جميعها دلائلُ على النموِّ المسيحيِّ الحقيقيّ، فإنَّ أحدَ أهمِّ الدلائل على النموِّ هو دليلٌ كثيرًا ما يُنسى لكنَّه **يجب** أن يكونَ ظاهرًا: القداسةُ المتزايدة والمتأصِّلة في إنكارٍ مسيحيٍّ للذَّات (اقرأ يعقوب ٢: ٢٠-٢٤؛ ٢بطرس ١: ٥-١١). على الكنيسة أنَّ تتميَّز باهتمامٍ حيويٍّ بهذا النوع من التقوى في حياة أعضائها.

إهمالُ القداسة، حالُه حالُ إهمال التأديب الكنسيِّ، لا يجلبُ سوى الضعفِ في نموِّ التلاميذ، إذ إنَّ الكنائسَ التي لا تأبه بالتعامُل مع السلوك غير المقدَّس تُشوِّش أذهانَ التلاميذ من جهة الحياة التي تُمجِّد المسيح، وكأنَّها حديقةٌ لا تُنزَعُ أعشابُها الضارَّة ولا تُقلَّمُ أغصانُها.

يتحتَّمُ على الكنيسة أن تلعبَ دورَ الوسيلة الإلهيَّة لتنمية الأعضاء في النعمة؛ فالمجتمعُ المرتبطُ بعهدٍ يُمكنُ أن يكونَ أداةً في يدِ الله لجعل الناس ينمون إذا كان هذا المجتمعُ بالغًا في سعيه نحو القداسة. وبينما يُبنى شعبُ الله ويُنمَّى معًا بقداسةٍ ومحبَّة مضحيَّة، تتحسَّن قدرتُهم على إدارة التأديب الكنسيِّ وتشجيع التلمذة.

وحينما تتأمَّلُ مليًّا في حياة كنيسةٍ ما، يُمكنُك رؤيةُ نموٍّ أعضائها في أُمور مُختلفة، وإليك بعضًا منها:

• يزداد عدد الأعضاء المدعوِّين إلى الإرساليَّات التبشيريَّة. "كم أودُّ أن أشاركَ بشارة الإنجيل مع أصدقائي من جنوب أفريقيا. لربَّما يدعوني الله إلى..."

• يتجدَّد الشعور بالمسؤوليَّة لدى الأعضاء القدامى نحو الكرازة وتلمذة الأعضاء الجُدُد. "فلنتشارَكْ طعامَ العشاء قريبًا".

• يُقدِّر الأعضاء الأحدث الأعضاء القدامى ويُحبُّونهم. "كم تباركتُ في شبابي بسبب ما أبداه الأخ (فلان) والأُخت (فلانة) تُجاهي..."

• تُصلِّي الكنيسةُ أكثر، وتتركَّز صلاتها على الكرازة وفُرَص الخدمة. "بدأتُ مؤخَّرًا مُناقشة تعاليم الإنجيل مع زُملائي في العمل، أرجو أن تصلُّي الكنيسةُ من أجلي إذ أشعُر ببعض التوتِّر و..."

• يزداد عدد الأعضاء الذين يُشاركون رسالةَ الإنجيل مع من هُم خارج الكنيسة.

• يقلُّ اعتماد الأعضاء على برامج الكنيسة، وتزداد أعمال الخدمة العفويَّة. "أيُّها الراعي، ما رأيُك إنْ أعددنا أنا وسالي لقاءً للسيِّدات في الكنيسة بمناسبة عيد الميلاد، واحتَسَينا الشاي معًا وتحدَّثنا بشأن الإنجيل وتطبيقاته في حياتنا؟".

• تتَّسم لقاءات أعضاء الكنيسة الاجتماعيَّة خارج مبنى الكنيسة بالسلوك روحيًّا، مثل تقبُّل فكرة الاعتراف بالخطايا بعضهم لبعض، مع التركيز على الصليب في الوقت نفسه. "أُريدُ أن أُشاركُكَ، يا أخي، أنِّي أتصارع هذه الأيام مع ...".

• عطاءٌ متزايدٌ ومُضَحٍّ. "عزيزتي، كم من المال يُمكنُنا أن نُكرِّس من ميزانيَّتنا الشهريَّة لمساعدة خدمة...؟".

• نموٌّ في ثمر الروح القدس.

• يُقدِّمُ الأعضاءُ تضحياتٍ في وظائفهم في سبيل خدمة الكنيسة. "هل سمعت أنَّ جورج رفض ترقيةً عرضَتْها عليه شركتُه ثلاث مراتٍ ليتمكَّن من الاستمرار في تكريس نفسه لخدمة الكنيسة بوصفه شيخًا فيها؟".

• يقود الأزواجُ زوجاتِهم قيادةً مُضحيَّة. "عزيزتي، ماذا أعمل لكي أظهر لكِ محبَّتي وتفهُّمي بصورةٍ أفضل؟".

• تخضعُ الزوجاتُ لأزواجِهنَّ. "عزيزي، كيف لي أن أُساعدك اليوم؟".

• يُدرِّب الوالدان أولادهُما في الإيمان. "لنُصلِّ اليوم من أجل خُدَّام الربِّ في...".

• تقبُّلٌ جماعيٌّ لتأديب خطايا معيَّنة لا يتوب الفردُ عنها.

• محبَّةٌ جماعيَّة للخاطئ الذي لا يتوب تظهر في التواصُل معه بإصرارٍ في التأديب. "أرجوك! أودُّ أن ألتقيَك بعد أن ترى رسالتي هذه".

هذه بعض الأمثلة فقط عن النموِّ الكنسيِّ الذي ينبغي للمؤمنين الصلاة والعمل من أجله. لكنْ ألا يُمكن أن تنموَ الكنيسة حجمًا وعددًا؟ بلى، فغالبًا ما يحصل هذا نتيجةَ بشارةِ الإنجيل المجيدة التي تجتذب الناس إليها، إلَّا أنَّنا لا يُمكن أن نفترض أنَّ هذا الازدياد حتميٌّ؛ فقد تكون لدى الله مقاصدُ أُخرى، كتعليم شعبه الصبر مثلًا. أمَّا نحنُ فيجب أنَّ نُركِّز انتباهنا على أمانتنا ونموِّنا الروحيّ.

وما السبب وراء نموٍّ كهذا؟ إنَّه الوعظ التفسيريُّ للكتاب المقدَّس، واللاهوت الكتابيُّ الصحيحُ، والمركزيَّة حول بشارة الإنجيل، فضلًا عن فهمٍ كتابيٍّ للاهتداء والكرازة والعضويَّة والتلمذة والقيادة!

أمَّا إذا كانت الكنائس أماكنَ تعلِّمُ آراءَ الرعاة، وتجعلُ الله في موضع الشكِّ بدل العبادة، وتُحرِّف رسالة الإنجيل وتشوه الكرازة، وتصيرُ العضويَّة بلا معنى، وتصطبغ الرعاية بطباعٍ دنيويَّة- فلا يُمكن توقُّع أن يكونَ هذا المجتمعُ متماسكًا أو بنَّاءً، ولا أن تمجِّد الله كنيسةٌ تتَّسم بهذا.

أمَّا عندما نلتقي كنيسةً تتألَّفُ من أعضاءٍ ينمون على شبه المسيح، فمَن الذي يتمجَّد؟ الله له المجد، لأنَّه، وبكلمات بولس: "لكن الله كانَ يُنمي. إذًا ليس الغارِسُ شَيئًا ولا السَّاقي، بل الله الذي يُنمي" (١كورنثوس ٣: ٦-٧؛ قارن بما رود في كولوسِّي ٢: ١٩).

كذلك ختمَ بطرس رسالته الثانية إلى مجموعةٍ من المسيحيِّين الأوائل بقوله: "ولكنِ انموا في النِّعمةِ وفي مَعرِفةِ ربِّنا ومخلِّصِنا يَسوعَ المسيح. له المجدُ الآنَ وإلى يومِ الدَّهر. آمينَ" (٢بطرس ٣: ١٨). قد نظنُّ أنَّ نموَّنا سيأتينا نحن بالمجد، غير أنَّ بطرس كان يَعلَم الحقَّ، إذ قال أيضًا: "...وأنْ تكونَ

سيرتُكُم بين الأُمَم حَسَنةً، لكَيْ يكونوا، في ما يَفتَرونَ علَيكُمْ كفاعِلي شَرٍّ، يُمَجِّدونَ الله في يومِ الافتِقاد، من أجلِ أعمالِكُم الحَسَنَة التي يُلاحِظونَها" (١بطرس ٢: ١٢). وكأنَّ بطرس كتب هذا مُتذكِّرًا كلام يسوع لمَّا قال: "فليُضِئْ نورُكُم هكذا قُدَّامَ الناس، لكَي يَرَوا أعمالكُمُ الحَسَنَة..."، فيمجِّدوكُم أنتُم؟ كلَّا! بل قال: "ويُمجِّدوا أباكُم الذي في السماوات" (متَّى ٥: ١٦). العملُ من أجل تعزيز تلمذةٍ ونموٍّ المؤمنين هو علامةٌ أُخرى تتميَّزُ بها الكنيسةُ السليمة.

الفصل ١٣

علامة مهمَّة تُميِّز الكنيسة السليمة: قيادةٌ كنسيَّةٌ كتابيَّة

أيَّ نوعٍ من القيادة نجدُ في الكنيسة السليمة؟ هل هي بوجودِ رعيَّة تبذل ما في وسعها للحفاظ على الأمانة في تقديم رسالة الإنجيل؟ أجل (غلاطِيَّة ١). هل هي بوجودِ شمامسة مُخلِصين في الخدمة في ما يتعلَّقُ بشؤون الكنيسة؟ أجل (أعمال ٦). هل هي بوجودِ راعٍ أمينٍ في المناداة بكلمة الله؟ أجل (٢تيموثاوس ٤). ومع هذا يُقدِّم إلينا الكتابُ المقدَّسُ موهبةً قياديَّةً أُخرى تساعد على النموِّ السليم للكنيسة: الشيوخ.

يُمكننا دونَ شكٍّ الحديثُ بأمورٍ كثيرةٍ مفيدةٍ متعلِّقة بالقيادة في الكتاب المقدَّس، غير أنِّي أرغبُ في التركيز على مسألة الشيوخ بالتحديد؛ إذ أخشى أنَّ الكثير من الكنائس لا يعلمون ما يفوتُهم في هذا الشأن، وأُصلِّي بوصفي راعيًا أن يضعَ السيِّدُ المسيح ضمنَ رعايانا رجالًا تُخبِرُ مواهبهم الروحيَّة واهتماماتهم الرعويَّة بأنَّ الله يدعوهُم ليكونوا شيوخًا، ويا ليتَهُ يُكثرُ منهُم!

إنْ أنعمَ الله على رجُلٍ ما في الكنيسة بشخصيَّةٍ نموذجيَّة وحكمةٍ رعويَّة وموهبةٍ تعليميَّة؛ وإنْ أقرَّتِ الكنيسةُ بهذه الأمور بالصلاة، فينبغي أن يُكرَّس هذا بصفة شيخ.

تجادلَتْ كنيسةُ أورشليم الفتيَّة في أعمال الرسل ٦ حول مسألة توزيع الطعام على الأرامل، فدعا الرُّسُلُ الكنيسةَ لاختيار مجموعةٍ من الرجال كي يُشرفوا على هذا التوزيع، حيث كان توكيلُ هؤلاء الرجال بهذه المهمَّة ليتمكَّن الرُّسُلُ من المواظبة "على الصَّلاةِ وخِدمَةِ الكلِمَة" (أعمال ٦: ٤).

بتعبيرٍ آخر، كان هذا الفصل في الأعمال بين الشمامسة والشيوخ هو ما تطوَّر في باقي أصحاحات العهد الجديد؛ فالشيوخ مكرَّسون للصلاة وخدمة الكلمة، والشمامسة يواصلون خدمات الكنيسة العمليَّة.

هل بدأتِ أيَّتُها الكنائس تستَوعبين رَوعةَ هذه العطيَّة التي جعلها الله لكُنّ؟ وكأنَّه يقول: "سآتي بمجموعةٍ من الرجال الذين بينكم وأُكرِّسهُم ليصلُّوا من أجلكم ويُعلِّموكُم عنِّي".

لدى كلِّ الكنائس أفرادٌ معيَّنون للقيام بوظائف الشيخ، حتَّى وإنْ دُعي هؤلاء بألقابٍ أُخرى كشمَّاس أو مسؤول. أمَّا العهد الجديد فيُطلِقُ ثلاثةَ ألقابٍ على هذا المنصب يستخدمها بالتبادل للإشارة إلى الشيوخ، وهي: "إبيسكُبُس" (Episcopos)، "برِسْبِتِروس" (Presbuteros)، "بويماين" (Poimain)، والتي تُترجم في اللغة العربيَّة باستخدام كلمات مثل: مُشرِف أو أُسقُف أو شيخ أو راعٍ أو قسّ. وتُستخدم هذه جميعها للحديث بشأن الإنسان ذي المنصب ذاته، مثلًا في أعمال الرسل ٢٠: ١٧ و٢٠: ٢٨.

غير أنَّه حين يسمع بعض الإنجيليِّين كلمة "شيخ"، فإنَّهم يربطون المصطلح فورًا بالمشيخيِّين، مع أنَّ الكنائس "الجمعيَّة" (Congregationalist)

الأولى[٥] التي تعود إلى القرن السادس عشر، علَّمت أنَّ منصبَ الشيوخ كتابيٌّ في كنيسة العهد الجديد، كما نجدُ الشيوخَ أيضًا في الكنائس المعمدانيَّة في أميركا ما بين القرنَين الثامن عشر والتاسع عشر، بل كتب دبليو. بي. جونسون" (W. B. Johnson) الرئيس الأوَّل للمجمع المعمدانيِّ الجنوبيِّ مقالةً عام ١٨٤٦م دعا فيها الكنائس المعمدانيَّة إلى تعيين مجموعةٍ من الشيوخ لأنَّ هذا أمرٌ كتابيّ.

إلَّا أنَّ المعمدانيِّين والمشيخيِّين يختلفون في ناحيتَين من جهةِ ما يختصُّ بالشيوخ (وأعتقد أنَّ المسائل المطروحة هنا تَهُمُّ من هُم ليسوا معمدانيِّين أو مشيخيِّين). أوَّلُ وأهمُّ اختلافٍ بيننا هو أنَّنا، نحن المعمدانيِّين، نؤمن بأنَّ الكتاب المقدَّس يُعلِّمُ أنَّ القرارَ الفصلَ حول مختلف الأُمور يقتصر على الرعيَّة كلِّها، لا على شيوخ الكنيسة أو أيًّا كان خارج جسد الكنيسة؛ فلمَّا علَّم يسوع تلاميذه عن مواجهة أخٍ خاطئ، قال إنَّ الرعيَّة هي المحكمة الأخيرة لإصدار الحُكم، لا الشيوخ، ولا الأساقفة ولا البابا، ولا مجمع أو لجنة (متَّى ١٨: ١٧). ولمَّا أراد الرُّسُل تعيين مجموعةٍ من الرجال ليعمَلوا عملَ الشمامسة، كما ناقشنا سابقًا، أوكلوا القرار للرعيَّة.

توحي رسائل بولس الرسول أيضًا أنَّ المسؤوليَّة النهائيَّة تقعُ على عاتقِ الرعيَّة؛ ففي الأصحاح الخامس من رسالة كورنثوس الأولى، لا يلوم بولس الراعي أو الشيوخ أو الشمامسة على التساهل مع الخطيَّة العلنيَّة لأحد الأعضاء، بل يلوم الرعيَّة. وفي ٢كورنثوس ٢، ينوِّه بولس إلى تأديبٍ جماعيٍّ للعضو الذي أخطأ. وفي غلاطِيَّة ١، يحضُّ الرعيَّة كلَّها على إدانة التعاليم الكاذبة التي كانوا يسمعونها. وفي ٢تيموثاوس ٤، يوبِّخ بولس

٥) مجموعةٌ من الكنائس تتميَّز بإدارة جماعيَّة لشؤون الكنيسة، أي أنَّ الرعيَّة كلَّها تعملُ على إدارة الكنيسة.

ليس فقط المعلِّمين الكذبة، بل هؤلاء الذين يسمحون لهم بتعليم ما يستحقُّ الآذان. لا شكَّ أنَّ الشيوخ يتولَّون القيادة فعلًا، لكنَّهم يقودون ضمن الحدود التي تعترف بها الرعيَّة كلُّها، وهذا أمرٌ واجبٌ كتابيًّا، أي أنَّ الشيوخَ وأيَّة لجنةٍ أو مجلسٍ في كنيسةٍ معمدانيَّة يتصرَّفون ضمن مؤهِّلات إرشاديَّة نحو الرعيَّة كلِّها.

ثانيًا، يختلف المعمدانيُّون والمشيخيُّون حول مسألة دور الشيوخ ومسؤوليَّتهم عمومًا نتيجة اختلاف تفسير ما قاله بولس لتيموثاوس في العدد التالي: "أمَّا الشُّيوخُ المدبِّرونَ حَسَنًا فليُحسَبوا أهلًا لكَرامَةٍ مُضاعَفَة، ولا سيَّما الذينَ يتعَبونَ في الكلِمَةِ والتَّعليم" (١تيموثاوس ٥: ١٧). يفهم المشيخيُّون هذه الآية على أنَّها تضعُ أساسًا لنوعَين من الشيوخ: شيوخٌ إداريُّون وشيوخٌ مُعلِّمون، لكنَّ المعمدانيِّين لا يرَون هذا التمايُز ضمن منصب الشيخ، بل يفهمون الآية على أنَّها تقترحُ أنَّ مجموعةً من الأفراد ضمن شيوخ الكنيسة يُكرَّسون للعمل بالوعظ والتعليم بكثافةٍ أكبر من الآخرين؛ فقد سبقَ أن قالَ بولس الرسول لتيموثاوس في الرسالة ذاتها إنَّ أحدَ المؤهِّلات الأساسيَّة للشيخ هو كونه "صالِحًا للتَّعليم" (١تيموثاوس ٣: ٢؛ تيطس ١: ٩)، فدفعَ هذا المعمدانيِّين غالبًا إلى رفضِ فكرةِ تعيينِ شيوخٍ ليست لديهم القدرة على تعليم الكتاب المقدَّس.

وغالبًا ما اتَّفق المعمدانيُّون والمشيخيُّون في القرن الثامن عشر على ضرورة تعدُّد الشيوخ في الكنيسة المحلِّيَّة؛ فمع أنَّ العهد الجديد لا يقترحُ عددًا محدَّدًا من الشيوخ للرعيَّة الواحدة، فإنَّه يُشيرُ دائمًا وبوضوحٍ إلى "شيوخ" الكنيسة المحلِّيَّة بصيغة الجمع (لاحظ مثلًا أعمال ١٤: ٢٣، ١٦: ٤، ٢٠: ١٧، ٢١: ١٨؛ تيطس ١: ٥؛ يعقوب ٥: ١٤).

اكتشفَتْ كنائسُ كثيرةٌ اليومَ هذه الفكرة الكتابيَّة الأساسيَّة من جديدٍ واعترفت بها. وهذه الكنائس ليست فقط معمدانيَّةً، بل أيضًا كنائسُ من طوائفَ أُخرى، إلى جانب أعدادٍ من الكنائس المستقلَّة. لا يُلغي تعدُّدُ الشيوخ الدورَ الخاصَّ بالراعي، إذ نجدُ أنَّ الكثير من الإشارات في العهد الجديد إلى الوعظ والوعَّاظ لا تنطبق على كلِّ الشيوخ في الرعيَّة؛ ففي كورنثوس، مثلًا، كرَّس بولس الرسول نفسه للوعظ حصرًا بطريقةٍ لا يُمكِن أن يعملَ بها الشيوخ الاعتياديُّون (أعمال ١٨: ٥؛ ١كورنثوس ٩: ١٤؛ ١تيموثاوس ٤: ١٣، ٥: ١٧). كما يبدو أنَّ الوعَّاظ يتنقَّلون من مكانٍ إلى آخر بهدف الوعظ بالكلمة (رومية ١٠: ١٤-١٥)، مقابل استقرارِ الشيوخ على الدوام بين مُجتمعهِم (تيطس ١: ٥).

قد تُعامِلُ رعيَّةٌ ما وشيوخُها الواعظَ الذي يخدمهم بالوعظ بكلمةِ الله بانتظامٍ وأمانةٍ كأنَّه الأوَّل على نُظرائه الشيوخ ومُستحقٌّ كرامةً مُضاعفة (١تيموثاوس ٥: ١٧). لكنْ رغم هذا يبقى الواعظ أو الراعي شيخًا آخرَ يتساوى في المنصب مع كلِّ رجُلٍ آخر طلبَتْ منه الرعيَّة أن يحملَ هذه المسؤوليَّة.

وأثبتَتْ خبرتي الشخصيَّة في الرعاية فائدةَ اتِّباع المثال الذي يقدِّمه العهد الجديد في مشاركة مسؤوليَّة رعاية الكنيسة المحلِّيَّة مع رجالٍ آخرين من الرعيَّة نفسها متى أمكَنَ هذا.

ينبغي أن تُتَّخذَ القراراتُ التي تخصُّ الكنيسة والتي لا تتطلَّب حضورَ جميع الأعضاء بناءً على كلمة شيوخ الكنيسة جميعهم، لا كلمة الراعي وحده. ومع أنَّ هذا قد يكون مُرهقًا أحيانًا، فإنَّ له فوائدَ جمَّة؛ إذ إنَّه

يُكمِّلُ مواهبَ الراعي بتَقْوِية نقاطِ ضعفه وتصحيح قراراته، كما يُفضي هذا إلى دعم الرعيَّة للقرارات المتَّخذة، مَّما يزيد من روابط الوحدة ويُعفي القادة من النقد الظالم. علاوة على أنَّه يُرسِّخ القيادةَ ويثبِّتها ويزيد من ديمومتها جاعلًا إيَّاها أكثر نُضجًا يومًا بعد يوم. ويشجِّعُ الكنيسةَ على تحمُّل مسؤوليَّة أُمورها الروحيَّة، ويساعدها على التقليل من الاعتماد على موظَّفيها.

لم تعُدْ مُمارسةُ تعدُّديَّة الشيوخ شائعةً بين الكنائس المعمدانيَّة اليوم، رغم أنَّها في ازديادٍ في بعضها والكثير من الكنائس الأُخرى، وهذا لعددٍ من الأسباب؛ فكما كانت هناك حاجةٌ إلى تعدُّدِ الشيوخ في الكنائس المذكورة في العهد الجديد، هكذا هي الحاجةُ اليوم.

في السياق نفسه، تخلطُ الكثير من الكنائس المعاصرة ما بين منصب الشيوخ والشمامسة أو طاقم العمل في الكنيسة. وكما سبق أن أشرنا، يشغلُ الشمامسةُ دَورًا مُهمًّا في الكنيسة كما يُصوِّرها العهد الجديد، حيث ترجع جذورُ هذا الدور إلى أعمال الرسل ٦. ومع أنَّه تصعُبُ الإشارةُ إلى فرقٍ مُطلقٍ ما بين المنصبَين، فإنَّ دَورَ الشمامسة يُعنى عمومًا بالأمور العمليَّة في حياة الكنيسة، كالإدارة والصيانة والاعتناء بحاجات أعضاء الكنيسة المادِّيَّة. أمَّا في الكثير من الكنائس اليوم، فإمَّا استولى الشمامسة على دور الإشراف الروحيِّ وإمَّا تركوه بين يدَيِ الراعي فقط. لهذا تحتاجُ الكنائس لأن تسترجعَ الفرقَ ما بين دور الشيوخ ودور الشمامسة، أفلا تحتاجُ الكنائس إلى هذين النوعَين من الخُدَّام؟

كَوْني الراعي في كنيستي يعني أيضًا أنِّي شيخٌ فيها، أي أنِّي الشيخُ

الرئيسيُّ لخدمة الوعظ. لكنِّي أقوم بهذا مع مجموعةٍ من الشيوخ الذين يسهرون معي على بناء الكنيسة، حيث بعضهم من طاقم العمل في الكنيسة أمَّا أغلبهم فليسوا كذلك. نلتقي جميعنا بانتظامٍ لنُصلِّيَ ونتحدَّثَ ونبحث عن خياراتٍ نُقدِّمها إلى الشمامسة والكنيسة كلِّها تتعلَّقُ بشتَّى الأُمور. وأعجَزُ عن التعبير عن محبَّة هؤلاء الرجال لي وللرعيَّة كلِّها بمشاركتهم إيَّاي مسؤوليَّة الرعاية وامتيازها. كم أشكُرُ الله من أجل رفقاء الخدمة هؤلاء!

من الواضح أنَّ منصب الشيخ فكرةٌ كتابيَّةٌ ذات قيمةٍ عمليَّة، تُعينُ الراعي كثيرًا إذا ما طُبِّقت في الكنيسة بانتشال الكثير من الأحمال عن كاهله، بل قد تحفظُه من إمكانيَّة إساءة استغلال المنصب. كما أنَّ ميِّزاتِ شخصيَّةِ الشيوخ التي يُدرجها بولس، إلى جانب القدرة على التعليم، هي ميِّزاتٌ على كلِّ مؤمن بالمسيح السعي إليها (١تيموثاوس ٣؛ تيطس ١). لذا فالتأييدُ العلنيُّ لأفرادٍ معيَّنين ليكونوا مثالًا يُحتذى به يُساعدُ المؤمنين الآخرين، ولا سيَّما الرجال منهم. فمُمارسةُ هذا التأييد العلنيِّ إذًا لرجالٍ أتقياء وحُكماء وأُمناء من العامَّة، وجعلُهُم شيوخًا هو علامةٌ أُخرى تمتازُ بها الكنيسةُ السليمة.

الفصل ١٤

الخُلاصة:
وجهًا لوجهٍ مع الواقع

"أردتُ تَرْكَ هذه الكنيسة مرارًا كثيرة...جرَّاء الحديث بشأن مُقاومة الخطيَّة وخدمة الآخرين، ومُحاسبة الآخرين لي، رغم أنَّهم هُم أنفسهم خُطاة". هذا ما قاله لي مؤخَّرًا أحد شيوخ كنيستي. وأكمل قائلًا: "لكنِّي أُدرك يقينًا أنَّ هذا هو القصدُ فعلًا، فأنا ما زلتُ أُخطئ، وأُريدُ أن أتخلَّص من خطاياي. أحتاجُ إلى المساءلة، والاقتداء بمثالٍ يُحتذى به، والعناية والمحبَّة والانتباه. طبيعتي البشريَّة الخاطئة تكرهُ هذا كلَّه! لكنْ دون كلِّ هذا لربَّما طلَّقتُ زوجتي، وتزوَّجتُ أُخرياتٍ وطلَّقتُهنَّ، وعِشتُ بعيدًا عن أولادي. كم أظهَرَ الله لي نعمتَه واهتمامَه بواسطة هذه الكنيسة!".

ليست الكنائسُ السليمةُ التي تعكسُ صفاتِ الله أكثر فأكثر كما أعلنَتْ كلمته هي أماكنَ يسهُلُ أن نكونَ فيها؛ فالعظاتُ قد تطول، والتوقُّعات قد تكونُ ذات سقفٍ مرتفع، والحديثُ بشأن الخطيَّة قد يفوقُ ما يُطيقه بعضُنا، بل قد يشعر بعض الأفرادِ أحيانًا بأنَّ الشركةَ في هذه الكنائس تطفُّليَّة بعض الشيء. غير أنَّ الأمرَ يدور حول عبارة **"أكثر فأكثر"**؛ فإنْ أردنا أن نعكسَ صفات الله **أكثر فأكثر**، فلا بدَّ أن تُلمَّع مرايا

حياتنا باستمرارٍ، سواء كانت هذه النواحي فرديَّة أم جماعيَّة. ويتطلَّبُ هذا الأمرُ الكثيرَ من العمل.

دعانا الله بصلاحه الجزيل لنحيا الحياةَ المسيحيَّةَ معًا، حيثُ تعكسُ محبَّتنا واهتمامنا المتبادلَين محبَّةَ الله واهتمامَه العميقَين. وتتطلَّبُ العلاقاتُ في العالم من حولنا الالتزام، وكذلك هو الأمر في الكنيسة، بل أكثر؛ إذ لم يقصد الله لنا النموَّ على جزيرةٍ نائيةٍ وحدَنا، بل أن ننموَ بعضنا مع بعض وبمُساعدة بعضنا بعضًا.

لكن هل تتمتَّعُ الكنيسةُ السليمة بالفرح مع هذا كلِّه؟ أجل، بالتأكيد! تتمتَّعُ الكنيسةُ السليمةُ بفرحِ التغيير الحقيقيِّ، وفرح القيود المنحَلَّة، وفرح الشركة الحميمة والوحدة الصادقة، وهي وحدةٌ تدورُ حول الخلاص المشتَرَك والعبادة، لا حول الذات. وتتمتَّعُ هذه الكنيسةُ أيضًا بفرح المحبَّة المشابِهة لمحبَّة المسيح سواء أُعطيت أم استُقبلت. وفوق هذا كلِّه، تتمتَّعُ بفرح أن تعكسَ مجدَ الله بينما "نتغَيَّر إلى تلكَ الصُّورة عَينِها، من مَجدٍ إلى مَجد" (٢كورنثوس ٣: ١٨).

حذَّر الله شعبه في الوصيَّة الثالثة ألَّا ينطقوا باسمه باطلًا (خروج ٢٠: ٧؛ تثنية ٥: ١١)، وقد عنى بهذا ليس فقط أن يحيدوا عن الكلام البذيء، بل قصدَ أيضًا أن يحذِّر من أن يُدعى اسمه علينا باطلًا بأن نحيا حياةً تعكس للآخرين ما هو باطلٌ عن الله، بدل أن تعكسَ ما هو حقّ. وتنطبقُ هذه الوصيَّةُ علينا أيضًا، نحن الكنيسةَ، التي دُعيَ اسمُ المسيح عليها.

تُعاني الكثير من الكنائس اليوم جرَّاء المرض؛ إذ ننسى النموَّ الروحيَّ ونسعى وراءَ المنفعة الذاتيَّة، ونخلط ما بين المشاعر المجرَّدة والعبادة

الحقيقيَّة. كما نُثمِّن رضى الناس بدلَ رضى الله وتأييده لنا، وهو تأييدٌ يقدِّمه لمن يُكابد رفضَ العالم ونبذه. ومهما أظهرَتِ الإحصائيَّات، فيبدو أنَّ كنائسَ كثيرةً اليوم لا تأْبَه بالعلامات الكتابيَّة التي تُميِّز الكنيسة الحيَّة والمتنامية.

وفي الإطار نفسه، ينبغي أن يهتمَّ المسيحيُّون بعافية الكنيسة وسلامتها، لا سيَّما هؤلاء الذين دعوا ليكون قادةً فيها؛ فكنائسنا يجب أن تعكسَ الله وإنجيلَه المجيد للخليقة كلِّها، ويجب أن نُمجِّده بحياتنا جميعًا، وهذا الحِملُ مسؤوليَّةٌ عظيمة وامتيازٌ كبير.

لِنَعُد الآن من حيث بَدَأنا: ما الذي تبحث عنه في أيَّة كنيسة؟ هل تُريدُ كنيسةً تعكس قِيَمك وقِيَم مُجتمعِك، أم كنيسةً تعكس هُوِيَّة الله المجيدة التي لا مثيل لها؟ وأيُّ هذين الخيارَين يُنيرُ مثل نورٍ على منارة لعالمٍ هائمٍ في الظلمة؟

يُمكنُك أن تجدَ عددًا من المقالات والكُتبِ والعظات المسموعة والدروس الإلكترونيَّة التي تتناول حياة الكنيسة باللغة الإنكليزيَّة (وبعضها بالعربيَّة) على الموقع الإلكترونيِّ www.9marks.org.

ملاحظةٌ لشعب الكنيسة

توخَّ الحذر حينما تقترح لراعي كنيستك بعض التغييرات إذا ما أعجبكَ أيٌّ من مواضيع هذا الكتاب. صلِّ واخدم وشجِّع وقدِّم حياتك مثالًا لما هو صالحٌ، وتأنَّ واصبر؛ فالكنيسةُ السليمةُ أكثرُ من مجرَّد **مكانٍ**

يُطابقُ مواصفات معيَّنة، بل هي **أُناسٌ** يُحبُّون بحقٍّ وصدق. ونعلمُ أنَّ أعظم إظهارٍ للمحبَّةَ يأتي وسط الأحوال التي لا تروقنا. وتذكَّر، أيُّها المؤمن بالمسيح، المحبَّة التي أُظهِرت لنا في المسيح!

ملاحظة للراعي

توخَّ الحذر حينما تقترح لكنيستك بعض التغييرات إذا ما أعجبَك أيٌّ من مواضيع هذا الكتاب، فاصبِرْ وأظهِرْ محبَّةً للنَّاس وعِظْ بالكلمة.

المُلحق:
عهدٌ نموذجيٌّ للكنيسة السليمة

بعد أن جاءت بنا نعمةُ الله إلى التوبة والإيمان بيسوع المسيح، وتسليم أنفسنا إليه؛ وبعد أن اعتمَدْنا بِاسْم الآب والابن والروح القدس على أساس اعترافنا بالإيمان، نُجدِّد الآن عهدنا بعضنا مع بعضٍ بفرحٍ وعزم مُتَّكلين على عون الله الجزيل.

سنُصلِّي ونسعى إلى وحدانيَّة الروح برباط السلام.

سنحيا معًا في محبَّة أخويَّة، بوصفنا أعضاء في الكنيسة، وسنعتني بعضنا ببعض، ونحثُّ بعضنا بعضًا على المحبَّة والأعمال الحسنة كلَّما سنحت لنا الفرصة.

لن نتخلَّى عن لقاء بعضنا بعضًا، ولن نُهمِل الصلاةَ لأنفسنا وللآخرين.

سنكونُ متاحين، قدر المستطاع، للنَّاس الذين تحت رعايتنا في أيِّ وقتٍ كان، وسنُدرِّبهم على هذه الأُمور، وسنسعى إلى خلاصِ عائلاتنا وأصدقائنا، ونكون لهُم مثالًا للطهارة والمحبَّة.

سنفرحُ مع الفَرِحين، ونحملُ أحمالَ بعضنا بعضًا وأحزانهم بلُطفٍ وعطف.

سنسعى إلى العيش بتعقُّلٍ في هذا العالم بالقدرة التي يمنحنا الله إيَّاها، مُنكِرين الفجورَ والشهوات العالميَّة، متذكِّرين أن علينا أن نحيا حياةً جديدةً ومُقدَّسة بعد أن أعلنَّا بالمعموديَّة أنَّنا دُفِنَّا مع المسيح على رجاء القيامة معه.

سنعملُ معًا على استمرار خدمة الإنجيل الأمينة في هذه الكنيسة بالحفاظ على العبادة والفرائض والتأديب والعقيدة. وسنُسهِمُ بفرحٍ، وعلى الدوام، في دعمِ الخدمة ومصاريف الكنيسة ومساعدة الفقراء وانتشار بشارة الإنجيل إلى كلِّ الشعوب.

سنتَّحدُ بكنيسةٍ أُخرى في أقربِ وقتٍ مُمكن إذا انتقلنا من هذا المكان، لنواصلَ العملَ بروحِ هذا العهد وبمبادئ كلمة الله.

ولتكُنْ نعمةُ ربِّنا يسوع المسيح ومحبَّةُ الله وشركة الروح القُدُس معنا جميعًا. آمين.

شكرٌ خاصّ

ساعدني كثيرون على فهمِ ما يعنيه أن تكونَ الكنيسة سليمةً واختبارِ هذا الفهم، إلَّا أنَّ اثنين ساهما في كتابةِ هذا الكتاب.

كان مات شمَكَر (Matt Schmucker) أوَّل من اقترح أن أضمَّ عددًا من المقالات عن الكنيسة إلى الكُتيِّب الأصليِّ، والذي تطوَّر ليصيرَ هذا الكتابَ، كما شجَّعني باستمرارٍ على جعلِ الأفكار في هذا الكتاب متاحةً للجميع؛ ومن دونه لا أظنُّ أنَّ هذا الكتاب كان ليرى النور.

أمَّا جوناثان ليمان (Jonathan Leeman) فقد ساهَمَ كثيرًا في هذا الكتاب حتَّى إنَّنا تساءلنا ما إذا كان يجب أن يكونَ مؤلِّفًا مشاركًا. لكن الكفَّة رجَّحتْ اسمي في نهاية المطاف بسبب كمِّيَّة المادَّة التي كتبتُها مقارنة بما ساهمَ جوناثان به، وبسبب ارتباط هذا الكتاب بالكُتيِّب السابق لخدمة "العلامات التسع" (9Marks)، فضلًا عن أسلوب الكتابة (استخدام ضمير المتكلِّم الذي يُشير إليَّ، واستخدام بعض التوضيحات من حياتي الشخصيَّة). لكنْ يجدُرُ ذكرُ أنَّ جوناثان هو مَن كتبَ مَثَل السيِّد أنف والأيدي، والقائمة الطويلة بتعابير العهد الجديد عن استخدام كلمة الله، وأجزاءٌ أُخرى من الجزء الأوَّل من الكتاب. عمِلَ جوناثان عملًا مُبدعًا على إعادة تنسيق الكُتيِّب الأوَّل وإعداده إلى هذا النسق الجديد والموسَّع

والأكثر إفادة كما نأمُل. جوناثان أخٌ موهوبٌ ما زال عونًا مُتواصلًا لي، وأنتُم تنالون منه أكثر ممَّا تعلمون.

سنصيرُ على صورة المسيح بينما نُصغي لصوته.

من أجل هذا تعمل خدمة "العلامات التسع" (9Marks) على:

- نشر الكُتُب والمقالات
- إجراء مقابلات مع قادة الكنائس
- استضافة لقاءات في العاصمة واشنطن
- إقامة ورش عمل إقليميَّة
- توفير المشورة إلى الكنائس والرعاة المحلِّيِّين
- كتابة تقييم للكُتُب والمقالات
- مُساعدة المؤمنين بالمسيح على العثور على كنائسَ لها الفكر

يُمكنُكُم أن تستَفسِروا عن هذا وأكثر عبر الموقع الإلكترونيِّ: www.9marks.org.

ما الكنيسة المثاليَّة؟ وكيف تُميِّزها؟

كيف تبدو تلك الكنيسة مقارنةً بالكنائس الأُخرى؟ وأهمُّ من ذلك، ما الأمور المختلفة التي تمارسها هذه الكنيسة عن غيرها من الكنائس، لا سيَّما على صعيد المجتمع؟ قد تكون لدينا بعضُ الأفكار المسبَّقة، إلَّا أنَّ الكثير منَّا قد لا يكون متيقِّنًا من إجاباته عن هذه الأسئلة. سيُساعدُك هذا الكتاب أن تتخطَّى حَيرتك.

يسعى مارك دَفر مؤلِّف الكتاب إلى مُساعدة المؤمنين على إدراك السمات الرئيسيَّة للكنيسة السليمة، كالوعظ التفسيريِّ واللاهوت الكتابيِّ والفهم الصحيح لبشارة الإنجيل. وحالُه حالُ كُتَّاب العهد الجديد، يتحدَّى دَفر جميع المؤمنين مُخاطِبًا أعضاء الكنائس، رعاةً كانوا أم رعايا، ليقوموا بدورهم في صَون الكنيسة المحلِّيَّة. وهكذا يُوفِّرُ كتابُ "ما هي الكنيسة السليمة؟" مبادئَ عمليَّةً وحقائقَ تنتقلُ عبر الزمن تُساعدُ كلًّا منَّا على تتميم الدَّور الذي منحنا إيَّاه الله في جسد المسيح.

مارك دَفر هو الراعي الرئيسيُّ لكنيسة كابيتول هِل المعمدانيَّة (Capitol Hill Baptist Church) في واشنطن دي. سي. حيثُ يسكُن مع زوجته كوني وابنه. وعلاوة على الدور الرعويّ الذي يشغله د. دَفر، فهو يخدمُ مديرًا تنفيذيًّا لخدمة "العلامات التسع" (9Marks). ألَّفَ د. دفر العديدَ من الكُتُب، ونشرَ مقالاتٍ عدَّة.

9Marks

CHRISTIAN CHURCH

ISBN-13: 978-1-58134-937-5
ISBN-10: 1-58134-937-8
51099
9 781581 349375
U.S. $10.99